

## تنمية قدرات الطفل في الكتابة الادبية

بقلم: منصف كريمي

ان البحث في هذا الموضوع هو بحث في موضوع تربوي ذي صلة بفئة عمرية هشة وتحتاج الى رعاية خاصة ولتناول هذا البحث من البديهي والضروري قبل كل شيء تحديد المصطلحات كمدخل طبيعي لفهم الموضوع بدقة وحصافة فأن نتحدث عن "تنمية قدرات الطفل" يعني ضرورة الاقرار بوجود قدرات طبيعية لدى الطفل تؤهله للكتابة الادبية ولكن هذه القدرات تحتاج الى تنميتها أي الى تربية خصوصية هدفها هو خلق رجال قادرين على صنع أشياء جديدة، ولا يقومون فقط بتكرار ما صنعه الأجيال السابقة أي رجال مبدعين، مبتكرين، ومكتشفين) في نوع من التربية هي التربية الابداعية فمثلما توجد تربية دينية، وتربية رياضية، وتربية فنية، فإن هناك تربية إبداعية، هدفها خلق الأفراد المبدعين في المجتمع، من خلال الكشف عن طاقاتهم الإبداعية وتنميتها وتطويرها وهذه التربية توجه اهتمامها وأساليبها وأنشطتها إلى الإبداع بتنمية قدرات الطفل في كيفية التأقلم مع المستقبل، أو بمعنى آخر كيفية تشكيل هذا المستقبل بأعداد الطفل وتمكينه من آليات مواجهة التغيرات السريعة في العالم

من البديهي التذكير أن الطفل يولد ولديه ميل فطري وطبيعي للبحث والاكتشاف والاستقصاء والتساؤل والتخمين وخاصة عند بلوغه سن الثلاث أو الأربع سنوات حيث يجنح نحو مساعلة الآخر عن عديد المسائل الحياتية وينتظر كثيرا من الآخر شرح الامور وتبسيطها ومن هنا تبدأ ميولات الطفل الأدبية كما ميولاته العلمية والفنية في التشكل وتسعى في هذا الاطار التربية الإبداعية في توجيه الطفل نحوها إذا ما لوحظ وجود ميول أدبية لديه على غرار كتابة القصة والشعر وغيرهما ليتأثر الطفل بالتفكير واللغة الادبية التي تشكل بالتالي جزءا من تفكيره وسلوكه النفسي ونحت شخصيته فيأخذ في البحث عن نماذج أدبية مختلفة من شأنها أن تشكل حسه الفني وذوقه الادبي حيث يأخذ الطفل ومنذ بداياته في الاستماع الى الأنشودة والقصة من الوالدين ومعلمة الروضة، وبعد أن

يتعلم القراءة، يقرأ بنفسه ما يختار من القصص والأناشيد والأغنيات وغيرها لتلعب المدرسة بما فيها من إدارة ومعلمين ومرشدين تربيين ونفسيين دور الوسيط في كشف طاقات الطفل الإبداعية، وتشكيلها وتنميتها ومن هنا تؤكد أهمية وجود المعلم المبدع والمجدد (أو على الأقل المقدّر للإبداع) حتى يتسنى له اكتشاف التلامذة المبدعين وبالتالي رعايتهم وهناك عديد الممارسات والنشاطات التي يمكن أن يقوم بها المعلم بالاشتراك مع تلامذته من الاطفال بما يمكنه من اكتشاف مواهبهم الإبداعية وبالتالي تنمية مواهبهم وقدراتهم الأدبية الإبداعية وحتى تتعرض لهذه الأنشطة والممارسات لا بدّ أولاً من تحديد مفهوم أدب الطفل الذي حدّده الباحثون على أنه " عمرة لغوية في شكل فني، يدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبة، ويطلق العنان لخياالتهم وطاقاتهم الإبداعية، وينمي فيهم الإنسان" كما يعرف أدب الطفل كذلك على أنه "شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموسه الطفل، ومع الخصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، أم ما يتصل بمضمونه ومناخه لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أم يتصل بقضايا الذوق وطرائق التكنيك في صوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة" وهو أيضاً " الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحاسيس وأحيلة تنفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال القصة والمسرحية والمقالة والأغنية" وأما عن أسلوب هذا الأدب فمن الضروري أن يكون " سهلاً واضحاً خالياً من التعقيد وحشد المشاكل، ولا يتجاوز المفاهيم المفهومة للطفل حسب نموه وقدرة استيعابه" وإذا عرفنا مفهوم أدب الطفل فلا يمكن أن نتحدث عن هذا النوع من الادب الذي اختلف في تعريفه المفكرين والباحثون دون التعرّض الى تحديد مرحلة الطفولة و تقسيماتها المختلفة، فمن الباحثين من ينتهي بها عند الثانية عشرة، ومنهم من يمتد بها حتى سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، ومنهم من يصل بها إلى أكثر من ذلك لنخلص الى أن أدب الطفل هو في نهاية المطاف هو الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً، وسواء أكان شغوياً بالكلام، أم تحريراً بالكتابة؛ مثل قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيهم وما إلى ذلك.

ولكن بعد هذه التعريفات وهذه المقدمة التي حدّدت المفاهيم ووضعت موضوع بحثنا في سياق العام بات من الضروري التطرّق الى لبّ موضوعنا وهو كيفية تنمية قدرات الطفل في الكتابة الادبية أو بمعنى آخر ما هي أهم ميكانيزمات هذه التنمية التربوية والاخلاقية والابداعية لهذه القدرات الطفولية للطفل ليكون كاتب المستقبل

في هذا الاطار لا بدّ من اقرار وترسيخ تربية ابداعية تقوم بدورها في تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي عند الأطفال وبوسائل مختلفة منها:

1/- إتاحة الفرصة للطفل في الاجتهاد في حلّ مشكلاته الخاصة دون اسقاط حلول جاهزة عليه بتدريبه على فهم المشكل بمختلف حيلاته واقتراض الحلول الافتراضية له والاشراف على تقييم هذه الحلول بطريقة موضوعية بما من شأنه أن ينمي التفكير العلمي والإبداعي لديه.

2/- تنمية خيال الطفل عن طريق آليّ اللعب وخاصة من خلال الالعب الفكرية وإعادة تفكيكها وتركيبها وعبر تنمية روح المطالعة لديه وتحفيزه عن طريق الجوائز التشجيعية.

3/- تمكين الطفل من فرصة تجريب واكتشاف الاشياء وخاصة بمحيطه بممارسة عمليات الرسم والقص والتكوين.

4/- تنمية استعدادات الطفل للإبداع ضمن المجموعة وترتيبه على تبادل الادوار مع المجموعة دون تركه بصفة منعزلة بما من شأنه أن يطوّر لديه آليات الحوار مع الآخر

5/- لفت انتباه الطفل الى أخطائه دون محاسبته أو معاقبته وإتاحة الفرصة له لإيجاد حلول لأخطائه.

وبهذا يمكن تأهيل الطفل لتقبّل وتدوّن ممارسة الأنشطة الإبداعية مثل الرسم، والتصوير، والأشغال الفنية، والهوايات، والابتكارات التقنية، والتصميم، وكتابة الشعر والقصة ليجد الطفل نفسه مبتكراً، يبدأ إنتاجه الفني بمعارفه السابقة، ثم يضيف إليها من ذاته وأحاسيسه وعواطفه وأفكاره، فيخرج إبداعاته الأولى التي تمهد لإعداده ليكون فرداً مبدعاً الى جانب تدريب الأطفال على الصبر والثابرة وبذل الجهد المتصل، فالمبدعون يتميزون دائماً بالقدرّة الفائقة على تحمل العناء وتدريبهم كذلك على التفكير الناقد الذي يحسن التعليل والتحليل وربط الأسباب بالنتائج، وتقييم الأمور بطريقة موضوعية

ولتنمية الذائقة الادبية للطفل من الضروري لفت الانتباه الى ضرورة مراعاة لغة الطفل وقاموسه حسب مراحل العمر والنمو، مع محاولة الارتقاء التدريجي بهذه اللغة عبر مراحل تكون بدايتها بترك المجال للطفل لاستخدام الألفاظ والتراكيب السهلة، وتجنب الغريبة غير المألوفة منها، والإقلال من المفردات والتراكيب المجازية إلا ما جاء منها على سبيل عفو الخطأ، واللجوء إلى التكرار في الألفاظ والتعبير واستخدام الجمل القصيرة أو المتوسطة الطول، وتجنب الجمل الطويلة المعقدة الى جانب استخدام الجمل والألفاظ الدالة على المعاني الحسية وتجنب المجرّد المعنوي وتنمية دقة الملاحظة، والصبر والمثابرة، والتفكير الجاد المستمر والتعاطف الدرامي والتقمّص والانطباع والاندماج لدى الطفل.

ونشير الى أنه من شروط تنمية قدرات الطفل على الكتابة الادبية لا بدّ من تربية الطفل على مطالعة الكتب التي تقدّم له أنشطة عملية وفكرية، وتؤهله لاكتشاف المختلف والمتشابه، وتدريبه على دقة الملاحظة، وابتكار الحلول، والخروج من المتاهة، وإكمال الصور والرسوم، وحل الأحاجي والألغاز وما إلى ذلك بما يكون له أثرا إيجابية في تكوين وبناء شخصية الطفل واعداده جماليا وأخلاقيا ونموا لغويا لإدراك كنه الحياة والتعلّق بكل ما هو نبيل فيها.

كما أنه من البديهي تعويد الطفل وبخاصة في المرحلة الدراسية على الطلاقة في التعبير وإفساح المجال لخياله في التعبير الهادف و توسيع خبرات التلاميذ ومعلوماتهم، وتنمية ثروتهم اللغوية.

هذا غيض من فيض مما يمكن الحديث عنه في هذا الموضوع لنؤكد في خاتمة دور الاسرة والمربي في تدريب الاطفال على جمع الأفكار، وترتيبها ترتيباً مترابط العبارات وفي تدريبهم على الكتابة الادبية أساسا اعتبارا لأهمية أدب الطفل في تدعيم قوة تربية الأطفال التربية الروحية الصحيحة، التي تدعم بدورها بناء شخصية الفرد السوي، الذي يتسم بالصفات التي تدعم الفكر والابتكار والإبداع، فهو الإنسان القارئ، المفكر المتأمل، العامل الجاد، الصابر المثابر، المدقق الذي يتقن عمله، الذي يطلب العلم طوال الحياة، والذي يعيد النظر في أفكاره وأعماله بهدف تقييمها وتطويرها، والذي يهتم بشؤون مجتمعه ومشكلاته، والذي تتسم تصرفاته بالموضوعية بعيداً عن الأهواء الشخصية.

## الأديب أبو زيان السعدي

### "الصورة الأخرى"

بقلم: عثمان الجلاصي الشريف

يقول "اندراي مالرو": الناس هم من ينظرون إلي ويحكمون علي، الذين يشبهونني هم من يحبونني".

ونحن في ثقافتنا العربية الإسلامية نقول ما المرء الا ذكر بعده . وأدينا الكبير فقيد الأدب التونسي والعربي أبو زيان السعدي لا يختلف إثنان حول ما قدمه للأدب التونسي والعربي من انتاجات تحظى باهتمام كبير وتقدير واسع من قبل المهتمين بالشأن الأدبي من جامعيين وإعلاميين ومثقفين وقد نالني شرف صداقته والتعاون معه على إمتداد أكثر من ثلاثة عقود وقفت خلالها على ما يحمله الراحل من قيم إنسانية نبيلة كالإحساس بالآخر والاعتدال الديني فهو الزيتوني الذي ظل إلى غاية آخر لقاء جمعني به في مقهى باريس بالعاصمة مخلصاً لمبادئ الجامعة الزيتونية كما ظل يعتقد جازماً أن إغلاق الزيتونة خطأ جسيم ارتكبه الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة وكان يقول لي منذ أواسط السبعينيات من القرن العشرين إن غياب الزيتونة من المشهد الثقافي والحضاري التونسي ستكون له عواقب وخيمة لاحالة بما قد يتولد عن الفراغ الروحي من استقطاب وردود فعل متطرفة وهو ما أصبح حقيقة معاشة.

وأبو زيان منفتح على مختلف الديانات السماوية والوضعية وقارئ متبصر ومتعمق في فهم كتبها سواء السماوية منها أو الوضعية علاوة على اطلاعه على أمهات الكتب المتعلقة بالعلوم الشرعية وقد اطلعني منذ أشهر على فصول من كتاب حول "البوذية" وهذا دليل على أن مواقفه الدينية المعتدلة ليست بمجرد سلوكات اعتباطية بل هي مبنية

على سند معرفى متين وعقل حصيف قادر على غربة ما يتلقاه من معارف ومعلومات لينسج منها رؤية موضوعية بعيدا عن المغالاة والمزایدات لقد كان يقول لى دائما المشكلة ليست فى الدين الإسلامى بل فى قراءة بعض المهتمین بالشأن الدینى للكتاب والسنة وما صدر عن الأئمة الکبار من مصنفات فى علوم الشرع.

### أبو زیان الأدیب الناقد

ثمة صورة خاطئة تماما لبوزیان السعدى تروج فى الأوساط الادبية و الثقافية. والى تجعل منه ادبیا و ناقدًا كلاسیکيا محافظا توقف عند مدرسة ادبية معينة اى مدرسة الرواد لاسیما المصریین منهم و نعنى بذلك طه حسین عمید الادب العربى و عباس محمود العقاد و عبد القادر المازنى، ومصطفی صادق الرافعى و غیرهم . وهى صورة سطحية و ان دلت على شىء فهى تدل على عدم معرفة بالمناخات و الفضاءات الثقافية و المعرفية للرجل الذى له

اطلاع واسع على حقب تاريخية و حضارات مختلفة تمتد الى العهد الاغريقى والبابلى والاشورى والقرعونى وصولا الى العهدین العباسى والاموى ثم الاغلبى علاوة على معرفته بالادب الاندلسى و باغلب المدارس الفلسفية نذكر من ذلك معرفته بافلطون و ارسطو و ابوقور و نيتشه و هيكل و فلاسفة التنوير الفرنسین (فولتار، ديدرو، مونتاسكيو، روسو ... ) وقد كانت لى معه حوارات و نقاشات حول القيم الاساسية للجمهورية و فصل السلط كما يراه مونتاسيکو كما كانت اللقاءات المتكررة معه فرصة لتتضح لى عديد المفاهيم الادبية والفلسفية .

وهذه المناهل الثقافية و المعرفية التى نخل منها أبو زیان السعدى هى التى استطاع بفضلها ان ينحت لنفسه منهجا فكريا خاصا به هو نتاج معاشرة طويلة و مضنية وعلاقة حميمة عاشها الرجل مع الكتاب الذى شكل بالنسبة اليه خير جليس و حجم مكتبته الشخصية التى تعد الآلاف من الكتب النفيسة افضل دليل على ذلك اما اهتمامه برواد الادب العربى الحديث فهو لا يخفى تقديره لهؤلاء الرواد الذين يمثل كل واحد منهم حسب رايه مدرسة مما يستوجب الاهتمام والقراءة المتعمقة لاعمالهم التى ستظل خالدة.

وهؤلاء الرموز أغلبهم من المناضلين الثقافيين فطه حسين الطفل الكفيف المعدم استطاع ان يحصل على الدكتوراه من "جامعة السربون" والعقاد وآخرون عصاميون لم يتعد الواحد منهم المرحلة الابتدائية من التعليم وقد خلفوا اعمالا اثرت المكتبة العربية و إضافة إلى هذا يرجع ابو زيان اكباره هؤلاء الرواد الى ما يلي :

- انغراس اعمال هؤلاء الرواد في الثقافة العربية الاسلامية.
- حفاظهم على سلامة اللغة العربية و نقاوتها .
- تناول اعمالهم لقيم انسانية و جمالية و اخلاقية لعبت دورا هاما في الدفاع عن المجتمعات العربية امام خطر الاغتراب و الغزو الثقافي .

### موقفه من الشعر الحديث

يرى ابو زيان السعدي ان الشعر هو الكلام المقفى والموزون حسب اوزان الخليل ابن احمد الفراهيدي وان جودة القصيد الشعري لا تقتصر على هاذين العنصرين بل لا بد من تو فر عناصر اخرى مثل الشعرية والحسنات اليدعية وجمالية الصورة وصدق المشاعر والبعد الانساني للمعاني الواردة في القصيد.

اما عن الشعر الحديث فهو يتقبل بعض التحارب من الشعر الحر من بين الذين يكتبون قصيدة التفعيلة على غرار بدر شاكر السياب وعمود درويش وسميح القاسم و عبد الوهاب البياتي الذي خصه " الراحل " بكتاب هو تحت الطبع على حد علمي.

وفي ما يخص حركة غير العمودي و الحر وقصيدة النثر التي يرى فيها البعض ثورة على القيود العروضية بما يسمح للقصيد العربي ان يفتح على فضاءات ارحب ويتناول مواضيع لم يتناولها الشعر العربي من قبل فهي بالنسبة اليه حركة تحريرية تهدف الى تدمير مقوم أساسي من مقومات الشعر العربي اعني العمود الشعري وهو ما يساهم في ارباك المشهد الادبي عموما و يجعله تابعا للثقافة السائدة خاصة وان المدارس النقدية الغربية ( الفرنسية والانقلوسكسونية...) قد اكتسحت مدارج جامعاتنا و هو مسار يؤدي وان كان ذلك وفق نسق ما الى المساهمة في الاغتراب الثقافي بدل تاصيل الكيان الذي هو

من القيم الأساسية التي على كل أديب أو مبدع أو أكاديمي وطني أن يدافع عنها و يعمل على حمايتها.

### أبو زيان و الأدب الاجنبية

لقد كان أبو زيان رغم أنه أحادي اللسان قارئاً مهماً للأدب الاجنبية من خلال الترجمات فهو مطلع على الأدب الروسي والأدب الفرنسي (بلزاك، في دوموباسان، فيكتور هيغو) والأدب الألماني.

وباعتباري أحد المساهمين في حركة الترجمة كان الفقيه أول من شجعني على ذلك إذ لاحظ أن أغلب الكتب التي أقرأها باللغة الفرنسية ولقد ترددت في البداية ألا أنقري مجموعات شعرية هادفة للشاعر الفرنسي "جاك بريغار" جعلتني أقدم على ما حثني على فعله أبو زيان وقد نشر لي هذه الترجمات الأولى في جريدة الصباح بعد أن كنت أكتب في صفحات الشباب بجريدة الصدى وبعض صفحات الشباب في جرائد أخرى .

وقد واصلت التعاون مع الأستاذ أبو زيان الذي كان لي خير مؤطر و موجه سواء في جريدة الصباح أو "الحزبة". لقد كان حريصاً على تخصيص حيز في الصفحات للملاحق التي يشرف عليها للأدب والثقافة العالمية لإيمانه بضرورة الاستفادة من الثقافات الأخرى.

وقد أشار علي بالاهتمام بأدب أمريكا اللاتينية و ترجمة ما يروق لي من نصوص وخلال سنوات كان يطلب مني إعداد صفحة عن المحرز على جائزة نوبل للأدب تتضمن مقالاً تعريفياً و بعض الشهادات حول تجربته و ترجمة لبعض نصوصه.

وقد نشر لي أبو زيان قصصاً وقصائد على غاية من الجرأة أتعجب اليوم حين أعيد قراءتها وأسأله كيف أفلتت من عين الرقيب؟ فهي نصوص تشهر بالفساد السياسي و بيشاعة الأعمال الفضيعة التي تقترب في حق سجناء الرأي وبالإمبريالية المتوحشة و بمناخية ماثوية الشاعر الفرنسي "أرتور رامبو" الشاعر المتمرد على كل شيء والذي كانت كتاباته ثورة في الشعر الفرنسي رغم توقيفه عن الكتابة وهو في سن الواحدة



والعشرين طلب مني أن أساعده على إصدار عدد خاص من الملحق الثقافي لجريدة الحرية وقد استحسنه الكثيرون من القراء والمهتمين بالشأن الأدبي في ذلك الوقت .

### أبو زيان والعلوم الانسانية

علاوة على إطلاع "أبو زيان" على المدارس الفلسفية فهو مطلع على علوم إنسانية أخرى ومهتم بها مثل تاريخ الحضارات وعلم الثقافة (الانثروبولوجيا) وعلم الاجتماع وعلم النفس وله رأي في المدرسة الفرويدية التي يعتبرها سطحية باعتبارها تفسر كل السلوكيات الانسانية بمرددها الى بعد غريزي في الإنسان هو "الجنس" والحال أن العرب القدامى تناولوا مسألة النفس بأكثر عمق وشمولية وقد قرأ لي في إحدى المناسبات نصا من كتاب لابن رشد حول هذه المسألة كما يعيب على المدارس الغربية في أغلبها إهمال العامل الديني الذي يرى أبو زيان أنه لا غنى عنه في تناول المسائل المتعلقة بالإنسان ووجوده وسلوكه. وللقيد إطلاع على المدارس النقدية الحديثة من بنوية وشكلانية وغيرها وله رأي فيها باعتبارها تسلط إعطاطا وتعسفاً على نصوص ابداعية ولدت في بيئة ثقافية مغايرة. إنه من الداعين إلى التمسك بالمدارس النقدية العربية على غرار منهج ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب العمدة.

<http://Archivebet.com>

### أبو زيان والعلوم السياسية:

لقد كان الفقيد مطلعاً على تاريخ الافكار وله قراءته للمذاهب السياسية من الطوباوية الى الاشتراكية الى الليبرالية الى الشيوعية الى الديمقراطية و قد تحاورنا طويلا حول هذه المذاهب و كان لنا جدال حول الفكرين الماركسي و الاشتراكي عموما و قد كان ينفي عن كتاب راس المال الصيغة الفلسفية، اذ يرى فيه كتاب اقتصاد وايديولوجيا وان الفكرة الرئيسية التي يبنى عليها هي صراع بين قاهر ومقهور وهذا الامر يولد الحقد والبغضاء، وهو ما يؤدي وإن طال الزمن الى العنف اي الى خراب بلدان بأسرها.

ويرى أبو زيان ان الماركسية تفقد الانسان بعده الروحي وهو ما يجعل منه كائنا ذا بعد واحد، أي يحوله الى كائن لاهم له سوى توفر الحاجات البيولوجية. وقد قال لي في إحدى الحوارات التي دارت بيننا في اواخر السبعينات لقد تحولت البلدان الراقعة لشعار

الاشتراكية والشيوعية الى رأسمالية الدولة والثروة عادت الى قلة قليلة (الطغمة الحاكمة) وهو ما ادى الى انتشار الفقر بصفة ملحوظة اضافة الى تفشي الفساد الاداري والمالي مما سيؤدي حتما الى ثورة مضادة وتفكك هذه الدول وعلى راسها الاتحاد السوفياتي وهو ما حصل بالفعل، وبمساعلته اكثر من مرة وفي فترات متباعدة عن الاختيار الامثل كان موقفه ورأيه واضحا.

ان اقل النظم سلبية هو الذي يسمح بتعايش الناس على اختلاف آرائهم ومشارهم على ان تحترم مقدسات الشعب من قبل الجميع وان يكون الدين الاسلامي المستنير حاضرا بصفة فعلية في حياتنا وابو زيان يكرس هذا الاختيار في حياته اذ له صداقات حميمة مع "ماركسيين" وقوميين ولبراليين واشتراكيين وديمقراطيين واسلاميين وغيرهم ومن بلاد عربية مختلفة.

كلمة اخيرة:

لقد كان ابو زيان وسيظل مدرسة ادبية اذ ساهم في اراء المكتبة التونسية والعربية عموما وكان وفيما لمن سبقوه ممن تتلمذ عليهم او تفاعل معهم ثقافيا وفكريا ويتجلى ذلك من خلال الاعمال التي خصصهم بها ومن بينهم :

- عثمان الكعاك - محمد الصادق بسيس - الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

كما احتضن الفقيد العديد من الاقلام الشابة التي اصبحت لها حضور في الساحة الادبية والثقافية، من بين هذه الاسماء صاحب هذا المقال و الاستاذ الاديب جلال المخ و الشاعر صالح الطرابلسي و القائمة تطول.

ولا يغوتني هذه المناسبة أن أذكر قول الشريف الرضي في رثاء الصاحب بن عباد :

"واها على الأقلام بعدك \*\*\* انما لم ترضى غير بنان كفك آلا" (يعني أهل)

وقول أبو الطيب المتنبي:

"قطف الرجال القول وقت نباته \*\*\* وقطفت أنت القول لما نورا"

## حوار مع الأءفب الفونسف.. رشفء الذوافف

### الفكر المءاربف فءءر بففضل أعلامه الكبار

### الذفن فءرفوا من الففروان وفاس وفونس والرباط

ءاوره: إءرفس البعقلف

#### — الءار البفضاء —

على هامش زفارة الأءفب الفونسف رشفء الذوافف أءفرا لمءفنة مراكش ومناسبة اءفاء مؤسسة سعوء الباففن للابءاع الشعرف؁ بفوبلفها الفضى برعافه صاءب الءلالة الملك مءمء الساءس ءفظه الله؁؁؁ الفقفنا هءذا الكاءب المءالف وكان معه هءا الءوار:

• كنا قرأنا لكم العفءف من مؤلفاءكم ك: "رواء الإصلاء وءماءة فء السور" و"الشافف ومءرسة أبوالل؁" و"الرؤفا الإباءفة فف أءب مءمء مزالف؁" الذى قءمه الكاءب الكبرف فوففء الءكفم؁ أو مفاءف "الأءباء فف الوطن العربف"؁ الذى قءمه الكاءب الكبرف فءفب مءفوظ؁ و"أءباء من مصر" الذى كءب مقءمة الءكنور مءمء السعءف فرهوء رففس ءامعة الأزهر الأسبق؁ وسمعنا أءفرا بأصءاء عن كءابكم "مشاففر القراء فف الوطن العربف" فف عءفء الءورفاء العربفة ومنها؁ الأهرام المصرفة والقلس العربف الصاءرة بلنءن؁ ففوءنا أن فءقم لنا أضواء عن كءابكم هءا....

— أنا ءرفص فا سفءف على الفئوع فف كءاباف؁ وفف الفارفء الواسع وءطوط الزمن.. وشءت — ومن ءلال المءابعة الأمفنة والءاءة لعطاءاء الرءال — أن أكتب عن عطاءاء رءال أءبوا القرآن فف فلكم الأنغام الشءفة والأصواء الءاشعة والعذبة ومن هؤلأ: قراء كبار أمءال: على البراق من فونس؁ ومءمء رفعت؁ وعبء الباسط عبء الصمء من مصر؁ والشفءان: مءمء بن عبء السلام الفاسف؁ وعبء الرءمان بن موسى السلوف الءسنافف \* 1908 — 1997م؁ وهو من الأصواء المقربة؁ وقء شءعها الملك الرائل

محمد الخامس و أشاد بها أبنائه وكان عين من طرف الراحل الحسن الثاني أستاذا بالمدرسة المولوية لتدريس الأميرين الموقرين محمد السادس ورشيد قواعد تلاوة القرآن وحفظه وتحويده... وكان لي حظ أن أهديت نسخة من هذا الكتاب إلى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله ووردت علي من طرفه رسالة خطية بتاريخ 7 مارس 2011 أنني فيها على جهودي.

● يتضح أنكم مغرمون بالكتابة فأني لون تمللون للكتابة فيه أكثر من غيره؟...

— اللون الغالب في نتاجاتي هو الدراسات سواء اكانت أدبية أم تاريخية

● والقصة والشعر؟..

— أنقدها فحسب ولي كتاب في هذا الشأن كتاب بعنوان: اتجاهات القصة التونسية القصيرة بالاشتراك مع الكاتب المصري حسني سيد لبيب.

● ماهي أبرز مؤلفاتكم؟..

— أدباء تونسيون — الشابي ومدرسة أبو اللو بالاشتراك مع د. خفاجي ود. عبد العزيز شرف، رحلة في الشعر التونسي بعد الشابي، مقاهي نجيب محفوظ في مرفأ الذاكرة، بقرت تحكي ، هذه بقرت، أغلام من بقرت، سلسلة كتب للأطفال تحمل عنوان: عظماء بلادي وتقع في 20 كتابا، وسبق لأحد الكتاب في المغرب الكاتب عنها وهو الأستاذ عبد الله أبو هلال".

● بوصفكم كاتباً متنوع الاهتمامات وكتيكم في النقد والتاريخ وفي الدراسات

فهل تعترون اللغة العربية ومازالت بخير أم هي تتاكل وفي خطر؟...

— اللغة العربية في عصرنا الحاضر، يتسع نطاقها اتساعا كبيرا، حيث أصبحت مرجعا علميا وتغذي عقل الطالب وتملأ قلبه ونفسه، وهي قائمة على مزج التاريخ الثابت بالتحليل الواسع في جل المعارف، وهذه اللغة حملت أحلام العرب وأشواقهم على امتداد الأمكنة بوصفها لغة القرآن الكريم وإحدى اللغات السامية، والفكر العربي تشكل في هذه اللغة، كما اتضحت فيها رؤى الأدب العربي، ومثلت صورة للروح العربية في أصالتها وامتزاجها، وفي تعامل العرب مع الآخر...

والقول بأنها تتأكل في الوقت الراهن، هو محل نقاش،، ولغتنا لا تخوف عليها من أخطاء الكتابات في مواقع التواصل الاجتماعي ومن محاولات التغيب والاندثار.. ويكفي أن تعلم أنها ممتدة في عروق المفكرين والعلماء، وأن اليونسكو في 18 ديسمبر الماضي احتفل بها، كلفة مؤثرة، ومؤثرات اللغة في المشرق والمغرب أكدت على وضع مشروع حمايتها.

● وحركة البحث العلمي والأدبي كيف تراها الآن؟..

— شخصياً أرى أن العربية عبرت عن أنبل المشاعر، التي جالت في نفس الإنسان واستأثرت بأعباء الحركة العلمية والفكرية فيما مضى... التي أشعلتها بحوث العلماء والقاهرة وفاس والقيروان وقرطبة ودمشق وغيرها...

والعرب حالياً في اهتماماتهم مواصلة هذه الجهود، ولن يتوقفوا عن كل ما فيه ارتقاء لحي الثمار الناضجة من هذه اللغة.



- هل في التاريخ العربي ما يوحي بالغير؟...
- بالطبع... ومن يعود إلى دراسة ماضي العلماء العرب وجهودهم في علمي التاريخ والجغرافيا، يرى بوضوح ألوانا من العبر، وهي صالحة لتكون مادة اجتماعية لصلتها بالجانب الإنساني العام.

كما صارت مادتا التاريخ والجغرافيا من المواد المساعدة على اكتمال ثقافة الأديب ورجل الفكر عامة.

● من هو أول المؤرخين العرب في رأيكم؟...

— آراء كثيرة قبلت في هذا الشأن... ويذكر ياقوت الحموي واليعقوبي في تاريخه أيضاً، أن أول مؤرخ هو أبو مخنف بن يحيى الأزدي فهو أول من ألف في أخبار الفتوح وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة، وقد باهى به صاحب الفهرست، وقال عنه: إنه اشتهر في أيام العباسيين وله خمسة وثلاثون كتاباً وتوفاه الله عام 774م.

- كيف ترى سمات الفكر العربي حالياً وماضياً؟..

— فى دنبانا حالبا؁ نرى ففرا ينطوى على دلائل تشير إلى الفوف من المسفل ومما سفلور فى؁ وفى بعضه ففان إلى فب الأوفان وإلى الففر؁ وإلى فسب الرزق فى أماكن بعفاة أما فى الماضى؁ فأرى سمات ففكر الإسلام والعروبة؁ وروح المسؤلفة الفردفة وارفاب الففم؁ وآثار حركة الشفوففة؁ الفف فافول فافواء الففكر وعزله عن مصادره الأصلفة؁ ففف افكشف لنا فى أأب ففالس اللهو والففون...

#### • كفف فرى مناهف الففد الفرفى؟

— مناهف الففد الفرفى الوافد؁ اعفمفل على مفاهفم الفففراف الماففة ف؁ ءورطفم؁ وفرفوف لم فسلفففا ففهم الأأب العربى ولا أن فففما ففففما موضوعفا... ومن هنا ففاء أففطاففها.

وفى ففراف الأفام رأفنا ففكار ففلاف المسفشفرفن على الفففى والفراف فامة بفون مفلفلفا صفففة؁ وبعضهم قال؁ إن الفففة فى المشرق فامف بما الارسالفاف... وفف رؤفا فاك بفرك لم فكن صاففة فى الفففر من المراف؁ بل وكشفف عن هوى وففق فى الففرفة...

وأفلب هؤلاء المسفشفرفن اسفمفوا معلومافهم من أراء البسافى والفاففى وفرفى زفدان و أضرافهم...

#### • كفف فرى ملامف الففكر المفارفى؟

الففكر المفارفى فففر بففل أعلامه الففار؁ الففن فففرفا من الففروان ومن فاس والفراب وففون... والمفرب العربى فعفر بأعلامه كالقزاز؁ والفصرى وابن رشقق؁ وابن فلفون؁ والففشافى وابن رشف وأضرافهم ومنذ وفف ففف ففخذل الففافة المفارففة فاففا مففمزا وفى فواف فففة عن المشرق ك؁ الفف؁ فكان هناك قلم مفرفى؁ وفى الفف فكان ففباعهم للمفذهب المالكفى؁ وفى فمال الإصلاح؁ كان المفارفى ففشل الففكمة والفففقة؁ وبلففم أسباب القوة والمنافة للففوار مع الآخر؁ والأأب الفونسى وأأب المفارفة رسما الفرفق لبناء ففكر فففف فعففم فىه على العقل وعلى الفزوف بكل الففافاف ومن مشاففر ففاب هففن البلففن فى العصر الفففف؁ ففد ففم فرافة والشاففن عبء الفكرم فلاب؁ ومفم

بنيس، ومبارك ربيع، وعثمان الكعك، وإدريس الخوري، وعبد المجيد بن جلون، ومحمد مزالي، والبشير بن سلامة، ومحمد عباس القباج، والحبيب الجنحاني، ومحمد الصباح، ومحمد شكري، وخنائية بنونة، وعبد السلام لصيلع، ومحمد صلاح الدين بن حميدة، ومحمد علي الرباوي، وعمود المسعدي، ومصطفى الفارسي، وأحمد ممو، ومحمد العروسي المطوي، ود.عبد الكريم كريم واضرباهم...

وانك سوف تجد في معظم نتائج هؤلاء كل ما فيه جاذبية للحضارة، وما يعكس ما تلتزم به الذات، ويتفاعل مع استحقاقات الإنسان ومطالبه، والتسرب إلى رؤاه الشخصية، بوصفه كائناً يجاهد ليتحرر من القيود، وأحد النماذج، الذي يتفاعل مع الأحداث والأفكار.

#### رابعة العلوية الأسطورة ورابعة أم الحسين

بقلم : د. بن غريال

يقطع النظر عن صحة وجودها التاريخي من عدمه فقد دخلت "رابعة العلوية" عالم الأسطورة مثلها مثل "عتره" و"أبو هريرة" و"أبو دلامة" و"سندباد البحري" و"المليحة النونية" و"الحارثية الغلالية" أو حتى "حما".  
http://Archivebeta.Sakhril.com

منهم من وجد حقا ومنهم من هو من صنع الخيال اختلف الرواة في نسب "رابعة العلوية" أكثر من اختلافهم في نسب أبي هريرة" في نظري أسطورة "رابعة العلوية" كانت من صنع خيال الإمام "الحسن البصري".

من مقومات هذه الأسطورة أذكر مثلا :

- كونها الطفلة الرابعة (مثلها مثل "فاطمة الزهراء")

- هي امرأة طاهرة وصلت إلى درجة "الكشف"

واجتازت الستار إلى الحضرة الالهية

صارَت طاهرة مثل فاطمة الزهراء بقوة إيمانها

لتوضح فكري أقدم لحة عن سورة "الحسن البصري" باعث مذهب المعتزلة أسوقها في إطارها الأسطوري:

-ولد ستان قبل وفاة الخليفة "عمر ابن الخطاب"

وقد دعى له أن يلققه الله في الدين

(مثلما دعى الرسول صلعم لخير الأمة)

## القصّ في مدوّنة "محمد جوعو":

### "الرّجل الذي أحرق ثيابه" و"بيت الذكريات المنسيّة"

بقلم : صالح الطرابلسي

فنّ القصّ كان يمارس بكيفيّة أو بأخرى وذلك منذ أقدم العصور وما الملاحم إلّا قصص تروي وقائع حدثت منذ عهد الإغريق وبابل (ملحمة هوميروس وملحمة قلقامش) وفي القرآن الكريم أحسن القصص يقصّها الله تعالى على عباده عن قوم من الغابرين كفوم عاد وثمود.

والقصّ الحديث قد نشأ مع بداية عصر التنوير في الغرب إبّان القرن التاسع عشر في أشكال أكثر تعقيدا من حيث المنهج والموضوع... تأثّروا بالفنون الأخرى كالسرح والموسيقى والرّسم.

والقاصّ محمد جوعو يدرك منذ البدء أنّ "الكتابة هي كلّ ما تبقى لنا الذاكرة" وأنّ فنّ القصّ هو تفجير للذاكرة والخيال محو لآفة التسيان التي قد تصيب الأذهان، ولعلّه بذلك متأثر بعمالقة القصّ والرّواية من الشرق والغرب فقد قدّم مجموعته القصصيّة الثانية "بيت الذكريات المنسيّة" بأقوال لنجيب محفوظ وغابرييل غارسيا ماركيز ويواخي سارتر ويوس الكاتب الألمانيّ. إحدى قصصه بقوله لتوفيق الحكيم من كتابه "عصفور الشرق" يقول فيها "الخيال هو ليل الحياة الجميل، هو حصننا وملأنا من قسوة التّهار الطّويل".

محمد جوعو قاصّ تونسيّ بدأ يكتب قصصه وينشرها في الصّحف منذ أتمّ جمعها بعد ذلك على نفقته في مجموعتين قصصيتين الأولى بعنوان "الرّجل الذي أحرق ثيابه" سنة



2008 والثانية بعنوان "بيت الذكريات المنسية" في 2010. كلٌّ منهما تحتوي على ثنائي قصص وغير هذين المؤلفين سندخل الآن عالم القصّ عند هذا الكاتب محاولين سير أغواره مستنتحين شيئا من خصوصياته ومميزاته الفنيّة شكلا ومضمونا.

تقنيّة السرد في قصص محمد جوعو تعتمد على تفجير الذاكرة وعلى فيض من خيال من خلاله تشخّص القصة أبطالها... وغير مختلف أشكال الوصف تصوّر تحركاتهم غير تحرك الأحداث : يتفاعل فيها الصراع بين أزمنة مفككة الحلقات، لا الماضي فيها ينضج ثمرة الحاضر، ولا الحاضر أنتج رؤيا لمستقبل أقلّ تعاسة... اهتزّ مفهوم الزمن في ذهنيّة مجتمع من الكادحين الفقراء والمهمّشين في حيّ شعبيّ من الأحياء الفوضويّة أمثاله لا تزال منتشرة عبر كافة مدن وقرى البلاد إلى يوم الناس هذا.

شبكة من العلاقات بين شخص يستبدّ فيها القويّ على الضعيف في مدينة التمدّن فيها مجرد مظهر بل هو مجرد كسوة تبدو أنيقة جديدة لكن يرتديها جسد منطفيّ الجمر، بلا روح، والعقل خاو بلا وعي والقلب أصمّ لا يحقق بقييم العدالة والحرية والكرامة (قصة الرجل الذي أحرق ثيابه ص 93).

والسرد في هذه المدوّنة يروي الذاكرة فيبدع فيها ولعلّ ذلك فيه بحث من الكاتب عن عوالم أكثر براءة وصفاء أو هروبا من زمن تطغى فيه القيم المادّية على القيم الروحيّة السّمحة، زمن تتعقّد فيه الحياة فتثقل أعباؤها على أمة من الكادحين يتعبون كثيرا من أجل عيش الكفاف لا غير.

والذات الرّأوية في اغلب قصص المدوّنة هي الكاتب نفسه والشخص كلّ له دوره يلعبه بإخراج من الرّأوي... وغير تقنيّة السرد هوس من خيال يعطي شيئا من جماليّة التشويق عبر فيض من ذكريات تنازل التسيان لتصرعه... فالخيال عبر هذا السرد

كوابيس من الأحلام تعاني منها أنفُس مسكونة بقلق فيه صراع بين الموجود والمنشود في واقع تتحاذيه المصالح المادية الخسيسة...

والوصف في قصص محمد جوعو أداة للسرد عبر تنوعاته يستحّم في الدقّة يصوّر الشّخص هاملتها ميرزا سحنة الوجه وقيس القامة ثمّ يغوص في أعماقها يسرد دواخلها النفسية والاجتماعية ليكشف توتراتها عبر لغة تراوح بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية لتصور حالات وظواهر مجتمع تنهوى فيه قيم لتعويضها أخرى ليست بالضرورة أحسن من سابقنها... وصف يفجر الذاكرة صورا تفجر بالإبداع جحافل التسيان... ذاكرة تجمع نتفا من الماضي المشرق لتشحن جسد الحاضر بروح تتوقّد بفجر آخر قد يطلع على الدنيا مستقبلا أفضل وأنقى... وصف يدقّق في تفاصيل الحدث، الحركة فيه دفع من شحن الذات فيه تصوير لدقائق الزّمان وتنوعات المكان وفيه تعبير عن الفقد أو عن الشّوق لمراى عزيز غادر في سفر ما بعده عودة أو لزّمان لم يعد للمرء أن يعيشه إلاّ عن طريق الإبداع في الذاكرة.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في سرده يوظّف محمد جوعو الأسطورة الشعبية فيفجرها لمعالجة قضايا إنسانية معاصرة عبر شخوص تبدو في مجملها مغلوقة على أمرها تعاني من التّهميش في زمن ليس فيه للضعيف حول ولا قوّة... شخوص تعاني من فقد أهمّ مقومات الحياة الكريمة كحقّ الشّغل وحقّ الصّحّة والحقّ في صيانة الحرمة الجسديّة.

يلوذ السرد بالصّمت أحيانا كما في قصّة "حديث الصّمت" لتنتطوي الذات على نفسها، فتبحر في تأملاتها في الحياة وفي ما وراء الحياة بحثا عن حقيقة شخّ بها المعاش لكثرة ما فيه من ضوضاء وضجيج، في مدينة حاضرها خائق وآتيها غامض وفي دنيا أعباؤها، ثقلت على حاملها...!

وعبر تقنيات السرد في قصة "طاطا... وين" وظلّ الكاتب أسطورة شعبية بسيطة حول إسم مدينة طاطاوين أو تطاوين الكائنة بالجنوب التونسي استغلّها لمعالجة مشكلة من المشاكل المعاصرة والتي ما يزال الشّباب يعاني منها وبالأخصّ شباب الأحياء الشعبيّة حرّاء تفشّي البطالة ألا وهي ظاهرة "الحرقّة" أي اجتياز الحدود بدون تأشيرة قانونية نحو بلاد الغرب، هذه الظاهرة التي كان الشّباب يقوم بها أيام الجمر بحثا عن العلم فإذا بها تصبح بحثا عن شغل يحقّق أحلاما وردية قد تتحقق وقد تؤدّي بهم إلى أن تذهب بهم إلى أن تذهب أجسادهم طعما لأسماك البحر دون نيل المبتغى...

وفي قصة "قطط وفتران ومطر" يشدّ انتباهك هذا الوصف لصراع بين القطط السمينة والفتران الضامرة الذي يقع تحت جناح الليل وتكون الفتران فيه لقمة سائغة لتلك القطط ليصف ظاهرة إجتماعية كانت تسود مجتمعنا في تلك الحقبة ولعلّها ما تزال سائدة إلى اليوم... فبطول القصة رجل أصيب إبتته بمرض عضال فيذهب إلى عرفة ليطلب منه حقّه في تسبقة تعبته على مداواتها فإذا به يشهّر بقوله: "أغرب عن وجهي يا فأر التفافات... متى كان للفتران القدرة حقوق؟" فينسحب مهزوما وفي صدره لميب لثورة في طور التآجج، ويعود إلى البيت فيجد البنت قد فارقت الحياة ويبقى السؤال معلّقا "متى ينقلب الوضع فيصبح المغلوب غالبا والغالب مغلوبا؟! كما يشدّ انتباهك هذا التماهي والتداعي في السرد... فالراوي ما أن يشعر بنهاية القصة حتّى يفاجئك بانزياح جديد فتواصل معه متشوقا لنهاية أخرى قد تكون مخالفة لما سبقته...

للزّمن في قصص محمد جوعو مفهومان: فهو إمّا أن يكون فضاء على مدى محدود بين الحياة والموت إن لم نملأه بما ينفع الناس يلتهم أعمارنا ليذهب بلا رجعة... أو هو امتداد للحياة وما الموت إلّا مرحلة للتجدّد والانبعث من جديد... عبر دائرة مغلقة ذات حلقات هي الطّفولة والشّباب والكهولة والشّيوخوخة... فالحياة ما هي إلّا ملحمة تتوالى

فصولها متكاملة عبر الزّمان متحدّدة عبر الأحفاد وأحفاد الأحفاد وهكذا دواليك حتّى يرث الله الأرض ومن عليها تصديقاً لقول الأديب اللبناني العالمي جبران خليل جبران "ما الماضي إلّا طريق إلى الحاضر وما الحاضر إلّا طريق إلى المستقبل. "الماضي والحاضر من المفروض أن يكونا متكاملين في اتّجاه مستقبل أفضل وأرقى للإنسانية جمعاء!".

وفي قصّة "رجل يبحث عن باب"، البطل حمّة رجل يترج من الرّيف إلى المدينة ليحطّ الرّحال عند أحد أبناء عمومته يسكن حيّاً شعبيّاً متاحماً للمدينة العصرية ليقتضي آباءها يذرع شوارع المدينة صباحاً ومساءً باحثاً عن شغل ولكن بدون جدوى... باع المسكين قرط أمّه بأجنس الأثمان... باع تذكّار أيام زمان ولم يظفر بشغل يحفظ به كرامته... فهل لثورتنا الآن أن نحقق هذا الأمل الذي لا يزال يترقّب تحقيقه الآلاف من شبابنا المعطلين عن العمل؟!

وللمكان ذاكرة يفجرها الكاتب في قصصه... والمدينة حمام الأنف حيّز في مجرى السرد يعبر فيه عن علاقة حميمة ترتبط بهذه المدينة الرابضة على شاطئ المتوسط بجبلها الأسطوري الصّامد... جبل بوقرنين ومحيطه الإيكولوجي الجميل بما فيه تضاريس مكسوّة بشتّى أنواع النباتات الغاية وزهرة "السيكلامان" الفريدة من نوعها وبحرها الملتحم بالأفق في علاقة عشق أبدية تروي تفاصيلها التوارس المرفقة بين زرقتين : زرقه السّماء وزرقه البحر... وبأحيائها الشعبية كحيّ الملائسين الرّابض على أحد هضاب جبل "بوقرنين" وبأهلها الطّيبين وعقائدها التي يلتقي فيها الأصدقاء والأحباء ليشكوا متاعبهم ومشاكلهم لبعضهم البعض عساهم يخفّفون من وطأها عليهم بعض الشيء.

وإن كان لابدّ من حفاة، فإننا نختم بالقول أنّ قصص محمد جوعو في مدونته التي تناولناها بالتحليل تطفح بخصوبة في الخيال وعذوبة في الوصف وحزاة في السرد وحذق في التصوير المشهدي... إنّها قصص من الدّكرة الحيّة تصنع وسائل دفاعها ضدّ آفة الجحود والنسيان!

## "الإنحناء" لبسمة البوعبيدي

### والحفر في الوجد

بقلم: مسعودة بوبكر

بسمة البوعبيدي من جيل التسعينيات كتبت القصة والرواية ونشرت انتاجها في عديد الدوريات والمجلات المحلية والعربية، وهي متحصلة على جائزة التشجيع الدولية لنساء حوض البحر البيض المتوسط.

صدرت مجموعتها القصصية "الإنحناء" سنة 2012 ومن خلالها سنحاول الاقتراب من التجربة السردية للكاتبة بسمة البوعبيدي وكانت بدايتها مع "تغريد خارج السرب" مجموعة قصصية صدرت سنة 2001 "أحترق الصمت" مجموعة قصصية ثانية صدرت سنة 2004 ثم ولجت الكاتبة تجربة الرواية بنص صدر لها سنة 2006 تحت عنوان :

"موسم التأنيث" تلتها رواية ثانية بعنوان "رائحة الخوف" وذلك سنة 2009

تضم هذه المجموعة 134 صفحة وتشمل 18 ثمانية عشرة قصة هي: الغريب/ المتاهة/ القرار/طعم الرحيل/ الراتب الشهري/الانحناء/نيران عرس/هو/ عودة الأرض/ الرخاء/تذكر/ السر/الرأس/ ذات اشتياق/ زمن العجائز/الانتظار/الكروسي الأخير/أحقاد عشواء.

اختارت الكاتبة لمجموعتها كصورة للغلاف، إحدى لوحات الرسام الشهير فان غوغ وهي لوحة "حقل القمح مع الغربان".. لوحة تبدو فيها الغربان وهي تحوم

حول الثمرة التي نضجت سنابلها، لتهوي عليها من حائق وتقتنص ما طاب لها من الثمرة الجاهزة بعرق من سهر على بذرها ورعايتها دون رادع، ثم تحتمي بذلك الأفق الملبّد بالغيوم ، يتلاشى فيه الوضوح والصفاء.

تهدّي الكاتبة هذا العمل قائلة: "إلى كلّ شهيد لم يقتله الرصاص الحي ولا الغاز المسيل للدموع ولكن قتله التهميش"

هو إذن شهيد غير الذي أهدر دمه واستبيح جسده.. هو شهيد أهدر رزقه وكرامته واستبيحت حرّيته تحت سياسة إهمال واقتضاء. إثبات من الكاتبة أن الكاتب كان ومازال وسيظلّ لسان حال المسحوقين المقهورين، تمّن تضييع ذبذبات أصواتهم في الجلبة العامة والجمععات السياسية ونعيق الانتهازية والصراعات النفعية. هو الكاتب الذي تحمّل الرسالة الإنسانية الصعبة ولا يزال محنيا تحت الحمل السيزيفي الأزلي، يرفع عاليا علامة إدانة وتشهير بالظلم والبشاعة، ألا وهي بيانه وقلمه، إيمانا منه بثقل الصفة التي تحملها. تقف بسمة البوعبيدي من النص موقف المتردد الخائف، لا يخوف العاجز عن العبارة وشحّ المخيلة، بل تردّد المرید في حضرة معبوده وتحيّب المبدع من قداسة الفنّ.

تقول في فاتحة كتابها: " تردّدت كثيرا قبل أن أضع هذه النصوص بين يديك.. التردد الصحيّ الذي لا يزيد عن الحد هو شيء إيجابي ومطلوب للكاتب " وتستشهد بقول أبي حيّان التوحّيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة: ( ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرع فيه أم أبطأت وإنما ينظر أصبت فيه أم أخطأت، وأحسنّت أم أسأت، فأبطأوك غير إصابتك كما أنّ إسرأعك غير معف على غلطك)

قدّم لهذه المجموعة الدكتور محمد صالح بن عمر بكلمة عنوانها: " لينة جديدة في صرح تجربة بدأت تعطي أكلها"

لا يزوغ من هذه القصص عن استلهاهم الواقع وهموم الراهن الشائك. تقف الكاتبة حيث الألم الإنساني والمعاناة، تحفر بحرى عميقا ضمن سياق تفاقمت فيه الأصوات المتألّمة من رياح القلق الوجودي، والقلق المادي المعيشي العسير، وعدم الاستقرار، بين مخالب الحاجة وضبابية المصير. وضعية تترجمها هذه النصوص التي يطغى عليها الجوّ القاتم والوضع الكابوسي والاضطراب النفسي لدى معظم الشخصوس التي تكشف عن وضع اجتماعي غير مريح ومرضي.. هي شخصوس منكسرة على أحلامها وأمانيتها المشتهاة الصعبة انظر قصة "الغريب" التي تعكس تجذّر الخوف من العلاقة الحادة بين المرء والسلطة والبوليس تحديدا والمتمثلة في الإيقافات والسلاح كأداة قمعية، تحيل على سياسة العنف بأصنافه والتي تهتّد طمأنينة المرء وإنسانيته. في قصة "الانحناء" تعكس الكاتبة خوفا آخر ليس أقلّ مرارة، وهو الخوف من الخصاصة والجوع والتشرد، خاصة حين يكون للمرء ولد هو مسؤول عنه ، ففي هذه القصة تخالف الكاتبة المقولة الشهيرة "تجوع الحرة ولا تأكل بشديها" إذ يبدو أن هذه الحرة التي تمشي على حد النصل الحارق للعوز والألم ووزر رضية قد ينال منها الجوع والفاقة، تميل إلى الانحراف حلما بغد أفضل ماعادت تجادل في طريقة العبور إليه... وكذلك الأمر بالنسبة إلى قصتي "المتاهة" و"الرحيل" حيث تتواتر صراعات الشخصوس مع الإحباط والخيبة. في " قصة "عودة" يدفع العائد فاتورة إخلاصه للجلب السُرّي، بنكبته في ضياع وظيفه، نكبة خفّت وطأتما برضائه عن نفسه. في قصة "الأرض والرخاء" تتطرق الكاتبة لمضون المحرة غير الشرعية عبر البحر، وتكشف عن فاجعة يعود منها المهاجر وقد أكل نصف جسده الحوت وملأ رثتيه الملح.. وهل الحوت إلا الفقر والضياع؟ وهل الملح غير القهر والخذلان...؟. في قصتها "ذات الشتياق" تزيح الكاتبة الستارة عن بشاعة الوحدة في عمر رذيل، وغربة الإنسان في رحلة حياته حيث لا عيد للوحدة

والشباب. ... يقول الدكتور محمد صالح بن عمر في تقديمه للمجموعة: (.... إن عالم بسمة البوعبيدي كما يلوح في قصص هذه المجموعة عالم كارثي، ملئ عواقل وعراقيل، مخوف بالمزلق والمخاطر. وجميع الشخصوس الرئيسية التي تتحرك في رحابه من جنس البطل القمري المضاد — تتلقى الضربات الموجعة بل المميتة أحيانا من القدر دون أن تقوى على التصدي فضلا عن ردّ الفعل والمقاومة إلى أن تنهار تماما وتكون نهايتها مأسوية: الفشل الذريع أو الموت وهو ما يلوح بوضوح شديد في الأجواء الخائفة السائدة في هذا العالم لكونه إما عالم اغتراب وإما متاهة وإما فضاء مزروعا ألغاما تنذر بالانفجار في كل حين"

ليس في الفضاء الشكلي في صياغة هذه المجموعة ما يبعد عن العادي من نسق الكتابة الخطية، والمعتمدة لغة سلسلة غير معقدة ذات شاعرية تتخللها لوحات وصفية. جدير بالإشارة اهتمام الكاتبة بالخواتم في معظم قصصها. فهي خواتم مفاجئة ومراوغة، ذات بعد رمزي مثل قصة "الغريب" و"المتاهة"، "القرار"، ولكن يحدث أن تتكشف الخاتمة من البداية مثل قصة "الراتب الشهري" حيث يدرك المتلقي أن البطل المسكين سيعود إلى بيت تركه مغتبطا متأنقا فرحا، خائب مقهور، إذ يسرق منه راتبه وتسقط كل أحلامه الصباحية.

تعتمد الكاتبة في صياغة نصّها إلى ترك مجال التشارك في الخلق، كما هو جليّ في قصة "السر". .. مؤكدة بذلك حرصها على هذه العلاقة المتينة بينها وبين قارئها الذي تضع بين يديه نصّها بعد تردد كما ذكرت مشيرة بقولها:

" أضعه — أي النص — بكل تواضع بين يدي المتلقي الذي أحرص على عدم استبلاّله على حدّ قول "محمود المسعدي" وكسب تواصله"



## رحلة عمر ورسالة علم

الأستاذ الشيخ محمد بن الحاج البرني الدريدي  
(1935-2012)

### بقلم الأستاذ : الحبيب الدريدي

لقد نذر حياته للعلم مكافحا في تحصيله، ومخلصا في تدريسه، ونصيرا لأهله وعونا لطالبيه، ونذر حياته للعبادة يتفقه في الدين ويتقرب إلى الله بالتقوى والميراث وعمل الصالحات، ذاك هو سيدي الوالد الأستاذ الشيخ محمد بن الحاج البرني الدريدي



ARCHIVE

ولد في أواخر شهر ماي من سنة 1935 الموافق لربيع الأنور من سنة 1354 هجرية بيت والده في منطقة يسميها أهلها "أحمادة" إذا أقموا ويسمونها "عين الفجة" إذا أنجلوا، وهي تقع بين "عين الديسة" شرقا و"الحصاحصة" و"سند الحداد" غربا وبين "الخلصة" شمالا و"سيدي نصر" و"القرعة" جنوبا على مقربة من الطريق الوطنية عدد 4 وعلى مسافة عشرين كيلومترا من مدينة سليانة وعشرة كيلومترات من مدينة مكثر.

وكان والده المرحوم الحاج البرني بن رمضان الدريدي (1881-1973) فلاحا جادا مثابرا منصرفا إلى تجميع الأرض وإنماء القطيع وتوسيع ريعه كلما أسعفته السنوات السمان بذلك. وقد كان ذائع الصيت في المنطقة كلها إذ عرف بالأمانة والتعفف والصلاح، وكان مع ما يبدو عليه من المهابة والوقار هادئ الطبع سليم الطوبة حسن المعاشرة يقري الضيف ويجير الخائف ويغيث الملهوف ويختصم لديه

المتنازعون فينصف المظلوم ويعفو عن الظالم ويصلح ذات البين. وللتأس في حميد مآثره وكريم مناقبه أحاديث كثيرة وقصص عجيبة حسبي أن أذكر منها حادثتين :

- فقد كانت بينه وبين بعض البيوتات من "جلاص" معاملات وصادقات ووشائج، ذلك أنهم كانوا يطرقونه صيفا وكان يغشاهم حيناً من الشتاء فاتفق في إحدى زيارته إلى ربوعهم أن ابتاع ضيعة من شجر الزيتون قرب بلدة "العلاء"، فلما كان العام الموالي وقد عاد لجني محصولها علم في بعض منتديات القوم أن أصحابها كانوا قد باعوه إيّاها في ضائقة عرضت لهم وحال طارئة دهمتهم، فما عثم حتى أرسل في طلبهم وأحضر الشهود العدول أنه يرجع إليهم فوراً الضيعة التي ابتاعها منهم بأصولها وغلتها وأنه يجعل المال الذي دفعه ثمنها لها ديناً عليهم يسدّدونه متى صلحت أحوالهم وزالت ضائقتهم. وظلّ هذا الموقف التادر يتردّد زمناً في مضارب أولئك القوم.

- ويروى أنه كان يوماً بسوق الخميس في مدينة سليانة في أربعينات القرن الماضي وكان المرحوم محمد الأخضر بن عطية يقف بالسوق بنفسه يبيع غنماً له، وصادف أن كانت السوق يومها كاسدة وأسعار الماشية متدنية فحاول بعضهم انتهاز الفرصة وأمعن في الهبوط بالأسعار في ما يسمّى عند تجار الماشية "بالمكاسرة" لإرغام صاحب الغنم على بيعها بثمان بخس. فما كان من محمد الأخضر بن عطية إلا أن أوعز إلى أحد مرافقيه بالبحث عن الحاج البرني الدريدي فلما جاءه قال له : "هذه غنمي سقها فقد بعثك إيّاها!" فأجابه متعجباً : "ولكنّي لم أجد اليوم مبتاعاً، ولا أظنّ الأسعار التي تتداول تمّا يرضي بائعاً مثلك" فردّ بتصميم : "سق هذه الأغنام فهي الآن لك ولتخاطبني لاحقاً في تسديد ثمنها".

وفهم أنّ الرّجل يطلب إليه أن يتقذه من طمع المتربّصين فقبل بذلك، وتجنّشتم عناء استحلاب الغنم إلى العاصمة، وأضطرته أحوال السوق إلى أن يبيعها بثمان زهيد. ثمّ

عاد إلى صاحبه، ولكنّه لم يرض أن يقاضيه نفس الثمن الذي باع به فزاد من ماله على المال الذي حصّله من بيع الغنم. وعاتبه بعض خلصائه وأقربائه وقالوا له: "هو عارف بأحوال السوق وكان يرضى منك بالثمن الذي بعث به" فقال لهم: "إني أرضى بخسارة المال فالله يخلفه، ولا أرضى أن يخيب رجل وثق بي وآستودعني رزقه"

\*\*\* \*\*

في حمى هذا الوالد المعروف بالأنفة والتعفف وعزة النفس نشأ سيدي الوالد الأستاذ الشيخ محمد بن الحاج البري الدريدي، وتلقّى في طفولته تعليماً تقليدياً إذ كان والده قد انتدب مؤدّباً لتعليم صبيان العائلة الموسّعة فحفظ نصيباً من القرآن وتعلّم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب. واشتدّ عوده فأصبح يشارك في الأعمال الفلاحية وينهض بجزء من أعبائها. ولكنّ نفسه تاقّت إلى طلب العلم وطمحت همته إلى مرّقة المعرفة، وهو يدرك أنّ ما تلقّاه في حلقة مؤدّب العائلة ليس سوى نزر قليل ممّا يتلقاه أترابه في بقاع أخرى تنتشر فيها مدارس العلم. وتناهت إلى أسماعه في ريفه البعيد أحاديث عن شبّان يافعون يشدّون الرّحال في طلب العلم إلى "دخلة المعاوين" بالوطن القبلي أو إلى زاوية "سيدي بوثنية". بماطر أو إلى زاوية "سيدي عبد الملك" بالقنطرة غير بعيد عن بيوتات الأهل والعائلة.

وهكذا أقرّ العزم على الالتحاق بإحدى هذه الزّوايا إلّا أنّ شعوره بواجب مساعدة أشقائه على عناء خدمة الأرض ومقاسمتهم مشقّة العمل الفلاحيّ - وكان في ذلك الزّمن عملاً يدويّاً في أغلبه حراثّة وبذراً وحصاداً ودراسة - كان يضطرّه في كلّ مرّة إلى أن يؤجّل رحلته العلميّة الموعودة، إلى أن كانت سنة 1951 فاختار في البداية أن يلتحق بزاوية "سيدي بوثنية". بماطر وكان قد حدّث عن طيب هوائها وجودة مرفقها وإحكام نظامها وحزم مدرّسيها فوصل إليها بعد رحلة مضنية شاقة

لندرة وسائل التقل آنذاك، غير أن إقامته هناك لم تدم طويلا لبعد المسافة وعسر التنقل إلى ذاك المكان و صعوبة العودة منه، وكذلك لفقد الصاحب والرفيق ذلك أن جلّ طالبي العلم من أبناء جهته ينتسبون إلى زاوية "سيدي عبد الملك" بالقنطرة. فعاد إلى مسقط رأسه ليوكي وجهه في العام الموالي شطر زاوية "سيدي عبد الملك" ويدخلها بمساعدة رجل من اصدقاء والده يدعى "علي بن السّعدى".

وعلى هذا النحو قضى سنتين في رحاب تلك الزاوية العريقة الشريفة يجتهد في طلب العلم وتدارك ما فاتته من التحصيل منصرفا بكلّيته إلى المثابرة ومغالبة الصعاب حتّى إذا ما استأنس في نفسه القدرة على اجتياز هذه المرحلة أقدم على المشاركة في مناظرة الدّخول إلى التعليم الثانوي الزيتوني، فشارك في هذه المناظرة سنة 1954 في الفرع الزيتوني بمدينة القيروان واجتازها بين أعمدة جامع عقبة بن نافع فكان في الزّمرة الأولى من النّاجحين.

وقدم القيروان للتعلّم في "عقبة" والإقامة "بالسيد" -مقام الصّحابي أبي زمعة البلوي- فدخلهما والقلب ممتلئ خشوعا والتّفس مفعمة إجلالا وأنفق فيهما خمس سنين ظفر في نهايتها بشهادة "الأهلية"، وهكذا تصرّمت أيام شبابه الأولى بين أساطين جامع عقبة بن نافع الفهريّ يختلف إلى دروسهم مصبّحا وممسيا فشغف بالدّرس والتحصيل وارتقى درجات العلم بالجدّ والمطاولّة والدّربة والمدارسة، وكان من بين أساتذته في ذلك العهد شيوخ أجلاء من أمثال الشّيخ عبد الرحمان خليف والشيخ التهامي نقرة والشيخ الرّمّاح وغيرهم فيما كان الأديب محمد الحليوي وقتئذ مديرا للمدرسة الثّانوية التكميليّة بالقيروان. وكان من زملائه آنذاك الدكتور عبد الجليل التميمي المؤرّخ وصاحب مؤسسة التميمي للبحث، فكانت بينهما زيارات متبادلة وصدافة متينة لكنها عابرة إذ قطعنها رحلة الدكتور التميمي لمتابعة دراسته بالخارج.

ثم انتقل سنة 1959 إلى العاصمة لإتمام المرحلة الثانية من التعليم الثانوي الزيتوني فالتحق بمعهد 9 أفريل (الجناح الجنوبي من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية حاليا) حيث أمضى ثلاث سنين توجت بنيل شهادة "التحصيل" بجزءيها الأول والثاني سنتي 1961 و1962، فتكفلت بذلك جهوده الحميدة وزكي طموحه العجيب وقرّ عيننا بهذا الفوز الباهر في سنوات قلائل.

وكانت كلية الحقوق بتونس قد فتحت في تلك الأيام مناظرة لحاملي التحصيل والباكالوريا من أجل قبول طلبة يتم إعدادهم لتولّي مناصب القضاء أو لممارسة مهنة المحاماة فتقدّم لاجتياز المناظرة ونشرت الصحف نتائجها فكان من أوائل الناجحين. وكاد يلتحق بكلية الحقوق إلّا أنّ بعض من استشارهم في الأمر قال له مازجا هزلا بجدّ: "إنّ بحالة الأحوال الشخصية أمت أسباب الخلافات الأسرية، وسياسة التعاضد أمت بتأميمها الأراضي أسباب الخلافات العقارية فلم تعد للناس حاجة إلى المحامين ! أمّا القضاء فلا يلائم أمثالك من الورعين، ألم يُقلّ عنهم : قاض في اللجنة وقاضيان في التار ؟". ثمّ عرض الأمر على والده فأشار عليه بآختيار مهنة التعليم لما يلحق صاحبها من جزيل الأجر والثواب.

\*\*\* \*\*

عين سيّدي الوالد الأستاذ الشّيخ محمّد الدريدي في خريف سنة 1962 معلّما متربّصا بمدينة الكاف، ثمّ معلّما مترسّما بمدرسة سيدي خيار من معتمدية نبر (1963-1964) فمعلّما بمدرسة السّرس المحطّة من 1964 إلى 1969، ثمّ مديرا لمدرسة "قبر كليب" بمصّوج من معتمدية سليانة.

تولّى إدارة هذه المدرسة بعد أن سجّلت في السّنة الدراسية المنقضية 1968-1969 نتائج ضعيفة إذ لم يتمكّن أيّ من تلامذتها من آختيار مناظرة "السّيزيام"

بنجاح، وفُصل عدد لا بأس به من أولئك التلاميذ لتقدمهم في السنّ فأثارت تلك الحال في نفسه حماسة للإصلاح والتدارك، وسعى في تفان وإخلاص إلى انتشال المدرسة وتلاميذها مما آل إليه أمرها، فكان أول ما بادر به أن تدخل لدى مندوبيّة التعليم بولاية الكاف لإرجاع التلاميذ المفصولين إلى مقاعد الدّراسة وتمكينهم على نحو استثنائي من فرصة أخيرة لاحتياز المناظرة فحظي طلبه بالقبول، ثم فرض داخل المدرسة نظاما من الصّرامة والشّدّة والحزم، وتولّى بنفسه تدريس تلامذة السنّة السادسة، وهو أمر أثار دهشة المتفكّد لما زار المدرسة فقد قال له معجبا: "جرت العادة أن يختار المدير الفصول اليسيرة مثل السنّة الثالثة أو الرّابعة ويجنّب نفسه مشقّة السّنات السّادسة وعناؤها الثّقيل ولكنّي أراك توفّق بين الحرص على إحكام تسيير المدرسة وبذل الجهود المضنيّة في تدريس السنّة السّادسة".

وتوجّ ذلك العمل المحلّص بفوز مبين فقد نجح حلّ التلاميذ الذين تقدّموا للمناظرة ولا سيّما أولئك الذين كانوا سيفصلون في السنّة الدّراسية السّابقة فغمره الرّضى. ولكن سمّت به همته القعساء مرّة أخرى إلى مواصلة طلب العلم فانتسب إلى الكليّة الزيتونية للشّريعة واصل الدّين وكان عميدها آنذاك سماحة الشّيخ محمد الفاضل بن عاشور قبل أن توافيه المنية في أواخر شهر أفريل من سنة 1970، غير أنّ إدارة مدرسة ريفيّة تبعد عن العاصمة مسافة تزيد عن مائة وخمسين كيلومترا قد تحول دونّه وبلوغ ما يرومه من الحصول على الأستاذية فانتقل في مرحلة أولى بمثل خطّته مديرا لمدرسة "مرج عوام" فلم يذلل ذلك من حجم الصّعاب، فأقرّ العزم على الانتقال إلى العاصمة وإن تعذّر ذلك فلتكن الاستقالة من التدريس.

وبثّ اشحانه إلى رجل فاضل جليل من رجال التّربية والتعليم هو الأستاذ محمّد القبيّ وكان في ذلك العهد مديرا لديوان وزير التّربية، وإنّما حفّزه على مقابلته أنّه كان المتفكّد الذي اشرف على ترسيمه، وهو لا يشكّ في أنّه ما يزال يكنّ له شيئا

من التقدير والتبجيل إذ لم يخف في زيارته له إعجابه بتفانيه في العمل وإكباره لصدق عزمه في نفع تلاميذه ولم يخل عليه قط بالتشجيع والثناء. فلما ألتقاه وحدثه برغبته وبالقيود التي تكبلها، ورأى ذاك المسؤول التأبه ما في نفسه من عزم قاطع على المضي في طلب العلم وما في نيته من إقدام على الاستقالة من التدريس إذا كان حائلا دون تحقيق مطمح سارع إلى تهدئة روعه وتسكين حيرته واجتهد في أن يجد له موضعا شاغرا بإحدى المدارس الابتدائية بالعاصمة وضواحيها، وكان ذلك أمرا غير هين في شهر ديسمبر بعد ثلاثة أشهر من انطلاق السنة الدراسية ورغم ذلك عين بالمدرسة الابتدائية طريق الزهراء برادس في ديسمبر 1970 ثم بمدرسة السلام العريقة بباب المنارة بداية من السنة الدراسية 1971-1972.

ولم تحل الشواغل والكلف التربوية والأسرية بينه وبين التعليم العالي فاقترح غماره واسع الثقة بنفسه قوي الأمل في مستقبله، وعاش سنوات من الكفاح الشديد المرير يعنت نفسه ويكدح خطره ويجهد في التوفيق بين التهوؤ بأعباء التدريس وبين حضور دروس كلية الشريعة ومحاضراتها والاستعداد لامتحانها إلى أن تخرج منها بدرجة الأستاذية سنة 1976، وتلمذ فيها على نخبة من خيرة الشيوخ والعلماء من أمثال الأساتذة محمد المختار السلامي والتهامي نقرة، والشاذلي النيفر والطيب سلامة والمختار بن محمود وغيرهم.

\*\*\* \*\* \*

عاد الدّر إلى معدنه وآب رجل التربية وطالب العلم إلى أرض الآباء والأجداد فقد تم تعيينه في شهر سبتمبر من سنة 1977 أستاذا بالمعهد الثانوي المختلط بسليانة، وكان مدينة داخل المدينة يعج بالتلاميذ من جلّ معتمديات الولاية وحتى من خارجها، وكان معلما حقيقيا من معالم المعرفة وحرما علميا مهيبا وملقى للأفكار والمطارحات والسّجال وموقلا للنشاط التلميذي الدؤوب ثقافة وفكرا

ورياضة وسياسة، فأمضى بهذا المعهد ثلاث عشرة سنة متصلة يعمل كعاداته بجد وإخلاص وتفان لمهوضا برسائله التربوية النبيلة وأضطلاعا بمسؤوليته المعرفية والبيداغوجية الجسيمة تشده إلى زملائه الأساتذة والإداريين أواصر المودة والتقدير والتبجيل وإلى تلامذته مشاعر الأبوة الصادقة والحدب والرعاية فتخرجت على يديه أجيال متعاقبة من خيرة أبناء الجهة وبناتها.

وإلى جانب عمله في حقل التربية والتعليم كان له نشاط ديني لم ينقطع حتى أواخر أيامه فقد تولى خطبة إمام خطيب بجامع الرحمة بمدينة سليانة منذ أقيم هذا المعلم الديني المبارك في شهر جوان 1982 إلى أن أقعده المرض عن اعتلاء منبره في شهر أكتوبر من سنة 2010، وهكذا أمضى ما يقارب الثلاثين عاما إماما خطيبا يدعو .. سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويرشد إلى الهدى وصراط مستقيم تركية للتفوس وشفاء لما في الصدور.

ولم يقصر نشاطه في هذا البيت المعمور على إلقاء خطب الجمعة ودروس الفقه والعبادة والأخلاق وإنما كان حريصا على تعهد هذا المعلم بالصيانة والترميم والتوسعة حتى يظل دوما في احسن حلة يسر عيون الناظرين فاستحدثت لجنة للغرض صحنبة ثلة من أهل البر والإحسان-أنابهم الله جميعا أحر ما عملوا- فأضافوا إلى الجامع ما تيسر من تجهيزات وأروقة وتحسينات لا يرجون في ذلك جزاء ولا شكورا إلا ابتغاء مرضاة الله.

وقد كلف منذ سنة 1990 بمهمة متفقد جهوي للشؤون الدينية بولايي سليانة والكاف فحاج طيلة عشر سنوات مدن الولاياتين وقراهما وأريافهما مرشدا للأئمة ومكونا وموجهها، يشرف على الندوات وينظم حلقات التكوين ويؤدي الزيارات إلى الخطباء والمدرسين. كما دعي إلى إلقاء محاضرات في الندوة الدولية التي تقام



سنوياً بمدينة القيروان بمناسبة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، وإلى إلقاء دروس دينية لفائدة الجالية التونسية بالخارج خلال الأعياد الدينية.

وكان بيته مقصد المواطنين يسألون في شتى المسائل الفقهية عبادة ومعاملات ويسترشدون في ما اشكل عليهم أو استغلق من أمور دينهم ودنياهم فكان يتلقاهم حفيّا بهم متلطّفا لهم في الحديث يجيب عن أسئلتهم ويبدّد حيرتهم وينير سبلهم، وربما أمدّ أحدهم بكتاب من كتبه الثمينة ترغيباً له في الاستزادة والتوسّع ذلك أنّه كوّن على امتداد مسيرته العلميّة والتربوية مكتبة ثريّة جامعة في التفسير وعلوم القرآن وفي الحديث وعلومه وفي الفقه وفي الفكر الإسلامي وفي التاريخ وفي اللّغة والأدب والحضارة وفي علوم التربية والبيداغوجيا وعلم نفس الطّفل وغير ذلك من فروع المعرفة.

وقد حبّب إلينا الكتب منذ عهود الطّفولة الأولى وبثّ فينا الشّغف بالكتاب والحرص على اقتنائه، ودرّبنا على إدامة النظّر في الكتب، وربما تطارح معنا أبياتا من عيون الشعر العربي أو حكما وأمثالا من أقوال العرب أو قضايا خلافيّة ممّا تباينت فيه الآراء وذهبت فيه المنازع مذاهب شتى وكان له ميل خاصّ إلى كتابات أحمد أمين فوجدت منذ زمن الصّبي أنّه يملك جلّ أعماله: الأدبيّة منها (النقد الأدبي) والإسلامية (فجر الإسلام-ضحى الإسلام-ظهر الإسلام) والمقالات المتفرّقة (فيض الخاطر) والسيرة الذاتية (حياتي).

\*\*\* \*\*

كان رحمه الله- سمح النفس رضي الخلق يؤثر على نفسه، يصل الرّحم ويعود المريض ويصلح ذات البين ويتصدّق على المحتاج ويلزم تلاوة القرآن إلى أن لّبي داعي ربّه راضيا مرضيا في اللّيلة الفاصلة بين العاشر والحادي عشر من ديسمبر سنة 2012 الموافق لـ 23 من شهر محرم سنة 1434 هجريّا عن سنّ تناهز 78 عاما كانت رحلة كفاح في العلم ورسالة تمسّك بالعروة الوثقى.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنّاته إنّّه سميع مجيب

## نيلسون مانديلا

### زعيم السّلام والمحبة والحرية والعدالة الاجتماعية والتسامح

بقلم : أ. عبد الكريم العطاوي

قبل الحديث عن كفاح مانديلا السياسي، ونضاله الإصلاحي، ينبغي علينا أن نبيّن بعجالة قصيرة سيرته الذاتية، المتمثلة في ولادته، ودراسته، وانتقاله إلى النضال ضدّ الاستعمار والميز العنصري، وتعرضه أثناء ذلك إلى التعذيب والسجن، وإصراره على مناداة وتحقيق السّلام والمحبة والحرية والعدالة الاجتماعية والتسامح، في مجتمعه الإفريقي المضطهد من طرف الميز العنصري نقول إن:

1- ولادته: وقعت في قبيلة الطهوسا للعائلة المالكة قهمبو سنة 1918 وتوفي في ديسمبر سنة 2013 بجنوب إفريقيا.

2- دراسته العليا: لقد تابع دراسته العليا في جامعة فورت هير وجامعة ويتواتر سواند، حيث درس القانون، وتخرّج منها بشهادة محام.

3- نضاله ضد الاستعمار و الميز العنصري: عاش مانديلا في جوهانسبورغ، و انخرط مباشرة في السياسة المناهضة للاستعمار و الميز العنصري، و انضم من ثمّ إلى حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، و أصبح عضوا مؤسسا لعصبة الشبيبة التابعة للحزب، بعد وصول الأفريكان القوميين من الحزب الوطني إلى السلطة في عام 1948، ومن ثم بدأ تنفيذ سياسة الفصل العنصري، وبرز على الساحة في عام 1952 في حملة تحدّ من حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، كسياسي و ثوري مناهض لنظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، وانتخب كرئيس لفرع ذلك الحزب بترانسفال، وأشرف على الكونغرس الشعبي سنة 1955 وعمل كمحام، و شرع بحثّ في البداية على احتجاج سلمي متعاوناً في ذلك

مع الحزب الشيوعي في جنوب إفريقيا، حيث شارك في تأسيس منظمة ربح الأمة المتشددة في عام 1961.

4- تعرضه إلى التعذيب والمضايقة والسجن: بسبب ذلك ألقى القبض عليه مرارا وتكرارا لأنشطته السياسية المثيرة للفتنة، وحوكم من أجل ذلك مع قيادة حزب المؤتمر في محاكمة الخيانة من سنة 1956 - 1961، و برئ فيما بعد، لكن سراحه لم يدم طويلا حيث ألقى القبض عليه أيضا، و اتهم بالاعتداء على أهداف حكومية. وفي عام 1962 أدين بالتخريب و التآمر لقلب نظام الحكم، فحكمت عليه محكمة ريفونيا بالسجن مدى الحياة، فمكث مانديلا 27 عاما في السجن بسبب نضاله ومقاومته لسياسة التمييز العنصري في خمسينات و ستينات القرن الماضي، وكان سجنه في هذه الفترة كريستوبراندي الذي قيل له: " إنه سيعمل على حراسة أخطر إرهابي في العالم"، لكن تبين له فيما بعد أن هذا الرجل المسجون، يعد من أحسن الرجال خلقا و تواضعا و تسامحا، مما جعله يتخذ كآب وصديق الحميم له، يلجأ إليه عندما تلبم به ضائقة ومشكلة، فيعمل مانديلا على حلها له، بما رزقه الله من معرفة نفسية.

انتقل في سجنه من جزيرة روبن إيلاند إلى سجن بولسمور ، ثم إلى سجن فيكتورفريورستر: " انطلقت بموجب ذلك حملة دولية، عملت على الضغط من أجل إطلاق سراحه، الأمر الذي تحقق في عام 1990، وسط حرب أهلية متصاعدة، صار بعدها منديلا حرا طليقا.

5- إصراره على تحقيق مبادئ حركة الإصلاح في مجتمعه: و كان رئيسا لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي، فقاد المفاوضات مع الرئيس دي كلارك، لإلغاء الفصل العنصري، وإقامة انتخابات حرة نزيهة شفافة متعددة الأعراق في عام 1994، قادها بحزبه المؤتمر الوطني الإفريقي، وفاز فيها بالرئاسة، وشكل حكومة وحدة وطنية في محاولة

منه لترع فتيل التوترات العرقية، وأسس أثناء ذلك دستوراً جديداً و لجنة للحقيقة و المصالحة للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان في الماضي، و عرضت إدارته تدابير لتشجيع الإصلاح الزراعي و مكافحة الفقر، و توسيع نطاق خدمات الرعاية الصحية، ودولياً، توسط بين ليبيا و المملكة المتحدة في قضية تفجير رحلة بان آم 103، وأشرف على التدخل العسكري في ليسوتو، امتنع عن الترشح لولاية ثانية، فخلفه نائبه تابو إيمبيكي، ليصبح فيما بعد رجلاً من حكماء الدولة، ركز على العمل الخيري في مجال مكافحة الفقر وانتشار الإيدز من خلال مؤسسة نيلسون مانديلا.<sup>1</sup>

تلقى أكثر من 250 جائزة تكريم، منها جائزة نوبل للسلام سنة 1993، وميدالية الرئاسة الأمريكية للحرية، ووسام لينين من النظام السوفييتي، نظراً لتمتعته العميق بالاحترام والتقدير \_ في العالم \_ لمواقفه الإصلاحية، تجاه وطنه الإفريقي، وتجاه شعوب العالم التي غمرته بسحب من الحب والتقدير والتكريم والإشادة. الأمر الذي جعله باتفاق النخب الفكرية، ورجالاً كبيراً من الزواد الإصلاح في الميدان السياسي والاجتماعي، وزعيماً فذاً في مقاومة الاستعمار و الميز العنصري ببلاده، جنوب إفريقيا خاصة، و ببعض الأقطار العالمية عامة.

كل هذه المواقف النبيلة التي عبّر عنها نيلسون مانديلا، كانت متجسمة في سلوكه وتربيته المثالية التي جعلته بحق محباً ومخلصاً للإنسانية بدون من ولا رياء، كما ظهر ذلك جلياً في مواقفه تجاه ثورات العرب الحديثة، التي نصح قادتها بتجنب الانتقام والأحقاد والثارات و التشفي و الإقصاء ضد أتباع النظم السابقة، كقوله: "أعتذر أولاً عن الخوض في شؤونكم الخاصة و ساعوني إن كنت دسست أنفي فيما لا ينبغي أن يقحم فيه، لكنني أحسست أن واجب النصح أولاً، والوفاء ثانياً، لما أوليتموني إياه من مساندة أيام

<sup>1</sup> السيرة الذاتية باختصار من الحاسوب (بتصرف)

قراع الفصل العنصري، يَحْتَمَن علي ردّ الجميل وإن بإبداء رأي محصته التجارب وعجنته الأيام وأنضجته السّجون<sup>2</sup>، "أحبتي ثوار العرب لازلت أذكر ذلك اليوم بوضوح، كان يوماً مشمساً من أيام كيب تاون، خرجت من السجن بعد أن سلخت بين جدرانها 27 سنة من العمر، خرجت إلى الدنيا بعدما وريت عنها سبعا وعشرين عاماً، لأني حلمت أن أرى بلادي خالية من الظلم والقهر والاستبداد، ورغم أن اللحظة أمام سجن فكتورفستر كانت كثيفة عليّ، إذ سأرى وجوه أطفالي وأهمهم بعد كل هذا الزمن، إلا أن السؤال الذي ملأ جوانحي حينها هو: "كيف ستعامل مع إرث الظلم لتقيم مكانه عدلاً؟ أكاد أحسّ أنّ هذا السؤال هو ما يقلقكم اليوم، لقد خرجتم لتوكم من سجنكم الكبير وهو سؤال تحدد الإجابة عليه طبيعة الاتجاه الذي ستتجهي إليه ثوراتكم"<sup>3</sup>.

إن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم، فالغدم سلمي و البناء فعل إيجابي أو على لغة أحد مفكريكم حسن الترابي. فإنّ إحقاق الحق أصعب بكثير من إبطال الباطل.

أنا لا أتحدّث العربية الأسفل، لكنّ ما أفهمه من الترجمات التي تصلني عن تفاصيل الجدل السياسي اليومي في مصر وتونس، تشير بأن معظم الوقت هناك مهدر في سبّ وشتم كلّ من كانت له صلة التعارف مع النظامين البائدين، وكأنّ الثورة لا يمكن أن تكتمل إلّا بالنشفي والإقصاء، كما يبدو لي أنّ الاتجاه العام عندكم يميل إلى استثناء وتبكيّت كلّ من كانت له صلة قريبة أو بعيدة بالأنظمة السابقة، ذلك أمر خاطئ في نظري.

أنا أتفهم الأسى الذي يعتصر قلوبكم، وأعرف ان مرارات الظلم ماثلة. إلّا أنني أرى أن استهداف هذا القطاع الواسع من مجتمعكم قد يسبب للثورة متاعب خطيرة، فمؤيد

<sup>2</sup> دروس ملتقى للعرب/ د: أحمد القندي/ صالون الصريح 2013/12/10

<sup>3</sup> نفس المصدر السابق

والنظام السابق كانوا يسيطرون على المال العام وعلى مفاصل الأمن والدولة وعلاقات البلد مع الخارج، فاستهدفهم قد يدفعهم إلى أن يكون إجهاض الثورة أهم هدف لهم في هذه المرحلة التي تتميز عادة بالهشاشة الأمنية وغياب التوازن. أنتم في غنى عن ذلك أحبتي؟ إن أنصار النظام السابق همسكون بمعظم المؤسسات الاقتصادية التي قد يشكل استهدافها أو غيابها أو تحييدها كارثة اقتصادية أو عدم توازن أنتم في غنى عنه الآن.

عليكم أن تذكروا أن أتباع النظام السابق في النهاية مواطنون ينتمون لهذا البلد فاحتواؤهم ومساعدتهم هي أكبر هدية للبلاد في هذه المرحلة، ثم إنه لا يمكن جمعهم ورميهم في البحر أو تحييدهم نهائيا. ثم إن لهم الحق في التعبير عن أنفسهم، وهو حق ينبغي أن يكون احترامه من أجلديات ما بعد الثورة.

أعلم أن ما يزعجكم أن تروا ذات الوجوه التي كانت تنافق النظام السابق، تتحدث اليوم بمحبة الثورة، لكن الأسلم أن لا تواجهوهم بالتبكي. إذا مجنوا الثورة، بل شجعوهم على ذلك حتى تحيدوهم، ونقول: أن المجتمع في النهاية لن يتخلى إلا من ساهم في ميلاد حريته.

إن النظر إلى المستقبل والتعامل معه بواقعية أهم بكثير من الوقوف عند تفاصيل الماضي المرير. أذكر جيدا عندما خرجت من السجن كان أكبر تحد واجهني هو أن قطاعا واسعا من السود كانوا يريدون أن يحاكموا كل من كانت له صلة بالنظام السابق، لكنني وقفت دون ذلك، وبرهنت الأيام أن هذا كان الخيار الأمثل، ولولا لاخترت جنوب إفريقيا. إنما إلى الحرب الأهلية أو إلى الديكتاتورية من جديد، لذلك شكلت لجنة الحقيقة والمصالحة التي جلس فيها المعتدي والمعتدى عليه وتصارحا وسامح كل منهما الآخر. إنها سياسة مرة لكنها ناجحة. هذه سياسة حكيمة، امتاز بها نيلسون مانديلا هي التي جعلته بحق:

1- زعيم السّلام بدون منازع لماذا؟ لأن سلوكه وممارسته السياسية كانت تختلف اختلافا كبيرا عن سياسة زعماء السّلام، فهو الذي مكث بين جدران السجن 27 سنة بسبب مواقفه السياسية السلمية المتمثلة في رفع الظلم على شعبه المضطهد من قبل إخوانهم في الإنسانية، لا لشيء إلا لكون مواطنيه بشرهم سوداء، ومع ذلك هم مواطنو جنوب إفريقيا الأصليون قد منعوا من التدريس بجانب إخوانهم البيض الذين جاؤوا من أوروبا، كما منعوا أيضا من البيع والشراء في الأسواق، ومن الركوب بجانبهم في الحافلات والقاطرات والبواخر والطائرات، ومن السكنى في المدن التي شيدوها بعرقهم، ومن الجلوس في الحدائق العمومية، شأنهم في ذلك كشأن الحيوانات بلا فرق.

هذه المعاملة المانسانية دفعتهم إلى الاحتجاج السلمي ضد هذا السلوك العنصري ومع ذلك لم يقابل زعيمهم مانديلا تلك المعاملات القاسية ضد شعبه إلا بمعاملات حسنة، عندما فاز حزبه المؤتمر الوطني الإفريقي في الانتخابات الرئاسية، فاختار رئيس جنوب إفريقيا دوكلارك نائبا له، وهو الذي قد بقي من سياسته أحيانا من التنكيل والتعذيب والسجن، ما لم يلقه أي زعيم آخر من زعماء العالم، كما أن مانديلا وقف ضد مطالب شعبه المنادية بحاكمة أنصار هذا النظام البائد، متخذًا لجنة الحقيقة والمصالحة بدل لجنة المحاسبة والتشفي التي تؤدي بالبلاد إلى الحرب الأهلية أو إلى ميلاد الدكتاتورية من جديد. بذلك استطاع أن يحقق جلوس المعتدي والمعتدى عليه حول طاولة الحوار، ليصارح كل واحد منهما الآخر، وقد اختتم ذلك الاجتماع البناء بالتوفيق والتسامح والسّلام. إنها سياسة صعبة، لكنها كللت بالنجاح والسّلام. كما أنه توسط بين ليبيا وأنقلترا في قضية تفجير رحلة بان أم 103، وأشرف على التدخل العسكري في ليسوتو وامتنع عن الترشح لولاية ثانية فخلفه نائبه" تابو لمبيكي" ليصبح فيما بعد رجلا من حكماء الدولة.

إزاء هذه المواقف السياسية السلمية، قد تلقى أكثر من 250 جائزة تكريم، منها جائزة نوبل للسلام سنة 1993 وميدالية الرئاسة الأمريكية للحرية، ووسام لينين من النظام السوفييتي نظرا لمواقفه السلمية النبيلة التي جلبت لشخصه الاحترام والتقدير والمحبة من النخب الفكرية والاجتماعية والسياسية، ومن الجماهير الشعبية العالمية التي ترجمت تلك المحبة والتقدير في مناسبتين، الأولى عند إطلاق سراحه و الثانية عند وفاته، هذا التقدير الجماهيري، تجاه شخصه الذي كان يعبر بصدق عن أنه:

2- زعيم المحبة و الحرية بشهادة سحانه: كريستوبراند الذي قيل له: إنه سيعمل على حراسة أخطر إرهابي في العالم، لكن تبين له فيما بعد أن هذا الرجل كان من أحسن الرجال خلقا ومحبة و تواضعا و تسامحا، فأتخذه كآب و صديق حميم، يلتجئ إليه عندما تلم به ضائقة و مشكلة، فيعمل على حلها له بما رزقه الله تعالى من معرفة نفسية، لم تقف هذه المعاملة المتصفة بالمحبة مع هذا السجين، بل شملت ثوار العرب وغيرهم كقوله: "أحبي ثوار العرب أتعفهم الأسى الذي يعتصر قلوبكم وأعرف أن مرارة الظلم مائلة، إلا أنني أرى أن استهداف هذا القطاع الواسع من مجتمعكم قد يسبب لثورتكم متاعب خطيرة، فعليكم مداراتهم و معاملتهم معاملة حسنة، تتسم بالمحبة التي اختارها مسارا حقيقيا مع أعدائه، عندما طالب السود محاكمة البيض، فوقف دون ذلك، وعاملهم معاملة حسنة، تدل على محبة خالصة تجاههم وذلك يبعث لجنة الحقيقة والمصالحة رغم ما لقي منهم من ظلم و جور وقهر وتعذيب خلال سنين عديدة.

كما أنه كان زعيم الحرية في مطالبه و نضاله السياسي ضد الاستعمار و الميز العنصري، وفي وقوفه ضد القوى العظمى التي كانت تريد استعمار الشعوب الضعيفة، وفي وقوفه أيضا ضد ثوار العرب الذي كانوا يريدون التشفي و الإقصاء و تبيكت أعدائهم الذين هم مواطنون لهم الحق في التعبير عن آرائهم بكل حرية، لا يجوز تحييدهم وتبيكتهم



باعتبارهم، ينتمون إلى ذلك الوطن الذي هو قاسم مشترك بينكم و بينهم. هذه الإستراتيجية السياسية التي اتخذها في مساره لترسيخ المحبة و الحرية، لن نجدها عند أي زعيم من زعماء العالم، ما عدى سيرة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

**3- زعيم العدالة الاجتماعية بدون منازع:** فهو الذي طبقها عند اختياره دوكلارك نائباً له، كما اختار الانتخابات الحرة الزهية و الشفافة للوصول إلى الحكم بشهادة منظمة حقوق الإنسان وبإشراف منظمة الأمم المتحدة، كما تخلّى عن الترشح للرئاسة في المرة الثانية تاركاً المجال لنائبه، و تولى بعد ذلك مركزاً على العمل الخيري في مجال مكافحة الفقر وانتشار مرض الإيدز من خلال مؤسسة " نيلسون مانديلا"، بالإضافة إلى الاهتمام بلجنة الحقيقة والمصالحة التي حققت المصالحة و التسامح بين الجنسين، ومتابعة القضايا الفردية عن طريق المحاكم القضائية، كما توجه إلى ثوار العرب بقوله في هذا الاتجاه: " إن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم، فالهدم أمر سلمي، و البناء فعل إيجابي أو على لغة أحد مفكرينكم حسن الترابي، فإن إحقاق الحق أصعب بكثير من إبطال الباطل"، بناء على ذلك أن أتباع النظام السابق في النهاية هم مواطنون ينتمون لهذا البلد فاحتواؤهم ومسامحتهم — في نظري — هي أكبر هدية للبلاد في هذه المرحلة، ثم إنه لا يمكن جمعهم و رميهم في البحر أو تحييدهم لهاثياً، ثم إن لهم الحق في التعبير عن أنفسهم وهو حق ينبغي أن يكون احترامه من أجدديات ما بعد الثورة.

وأعلم أن مما يزعجكم أن تروا ذات الوجوه التي كانت تنافق النظام السابق، تتحدث اليوم بمحبة الثورة، لكن الأسلم أن لا تواجهوهم بالتبكيك إذا مجدوا

الثورة، بل شجعوهم على ذلك حتى تحيدوهم، وثقوا أن المجتمع في النهاية لن ينتخب إلا من ساهم في ميلاد حريته.

بهذا الموقف والتقدير للعدالة الاجتماعية، التي لا تختلف في شيء عن العدالة الانتقالية السمحة في عصرنا هذا قد طبقها نيلسون مانديلا في مجتمعه جنوب إفريقيا، كما طبقها أيضا مع غيره عندما طلب من مسؤولي الثورات العربية حديثا تطبيق تلك العدالة في أنظمتهم السياسية حتى يتجنبوا النكسات والخيبات في مسار حكمهم. عندما يتخذون التسامح دستورا مقدسا في معاملاتهم الاجتماعية، كما اتخذوه هو، في تسير دواليب دولته، مما جعله بحق زعيم التسامح بدون معارض وذلك راجع في نظر إلى عدّة أسباب أذكر البعض منها :

- 1- تمسكه بمبادئ الكفاح والنضال المثالي الإنساني ضد الإستعمار والميز العنصري
  - 2- تمسكه أيضا بالصبر الذي يعتبر مفتاح الفرج
  - 3- عمله بمبدأ أحسن إلى من أساء إليك، كما ظهر ذلك جليا مع دوكلارك الذي اختاره نائبا له وعانقه رغم تلك المعاملة القاسية التي لقيها منه إبان حكمه
  - 4- تطبيق مبدأ التسامح في مساره السياسي، عندما رفض مطالب السود المتمثلة في محاكمة البيض، فشكل لجنة الحقيقة والمصالحة التي حققت اجتماع المعتدي والمعتدى عليه حول طاولة الحوار، فتناقشا وتصارحا وسامح كل واحد منهما الآخر، وأبعدا بذلك الحرب الأهلية أو ميلاد الدكتاتورية من جديد.
- بهذا يحق لي أن أشيد بهذا المسار السياسي الاستراتيجي الفريد من نوعه في عالمنا هذا الذي أرساه نيلسون مانديلا كقاعدة دستورية، بالنسبة لكل المجتمعات العالمية، وقدوة حسنة لكل زعماء العالم بدون استثناء، كي يرسوا بحق السلام العالمي الحقيقي والتعايش السلمي بين الأجناس المتباينة القاطنين في قطر واحد، هدفهم الوحيد هو أن يكون وطنهم فوق كل اعتبار.

## أيّام القَرّ في آخر شهر ديسمبر 2014

بقلم : حسن ظاهر الرفاعي

هكذا نزلت الثلوج في فصل البرد والأنواء فجأة، فكست الأرض برداء أبيض ناصع كالقطن وهي تترأى لنا مكلفة أعالي الجبال والمرتفعات التي تحمي سهول سليانة الخصبة المنبسطة التي ارتدت بدورها هذا الثوب القشيب، وبهذا المشهد الجميل الرائع نستحضر مطلع قصيد عن جبل السرج للشاعر عبد الستار الهاني يقول في مطلعها :

جبلي الشهم عمّمتك الليالي .. مثلما أنت في قديم خيالي

مثلما كنت ترتدي في شتاء .. ثوبك الأبيض المهيب الجلال

كنت تبدو بليسة في سهاء .. لهف نفسي فكم قضى من جمال

صدق شاعرنا الذي التقى بوصفه هذا مع قول شاعر المهجر جبران خليل جبران:  
"وجمال الحياة شاطئ لا نراه ساق فيه الإله كل سحر..."

فالعيش بين سفوح الجبال وانتشار الأهالي في البوادي هنا وهناك بين أحضان الطبيعة ذاك شيء يلذّ للنفس وبسحرها فيقضون فيها خير أيامهم يقنون أعمارهم كدًا فيزرعون الأرض حبًا وينبتونه فاكهة، فلولاهم لأمت خرابا ورغم قلة ذات اليد فالقناعة ديدانهم والرجاء أملهم بحيث لا نقود تدفع ولا رجاء يقطع برغم أنّ الاقتصاد قائم بنسبة لا يستهان بها على كواهلهم. غير أن مثل هذا الفصل القارّ يتعبهم لأنّ العواقر ترهق وتولم سكان هذه المناطق وذلك لانعدام وسائل تحميمهم شرّ أزمة البرد والصقيع الجائر على أناس هم في أمس الحاجة للمعونة ومدّ يد المساعدة خاصة في مثل هذا الظرف بالذات.

فهل من منجد من أبناء جلدتنا لإخوان لنا يكابدون العيش في مثل هذه الظروف الصعبة، فإنَّ عجزهم يُجعلنَا والكثير منّا يعيشون في رعد، أليس الأخرى بنا أن نطلق أيدينا لإخوان يعيشون في كمد، فلو تراحم الناس فيما بينهم على وجه البسيطة لا زال الاحتياج والفقر المقبض واستسهلت الصعاب في حياتهم ، ولولا التكافل الاجتماعي الذي نلمحه يهب من حين لآخر لنجدة إخوان لنا عملاً بما يحليه الواجب الذي نراه مازال محتشماً وبما تحثنا عليه وتقوم به مكونات المجتمع المدني الذي لازالت موارده متواضعة رغم بذله للجهد، وبهذا المشهد الإنساني الرائع في وطننا الذي نطمح أن يعمّه النأخي وتحقق فيه العدالة والتنمية الاجتماعية ينفذ إلى أذهاننا قول الشاعر محمد إقبال :

وفي التوحيد للههم اتحاد :: ولئن تبشوا العلاء متفرقين

وقد نتساءل هنا عن دورنا في هذا الشأن لنفعله في الحياة التي وهبها الله لنا إذ وجب علينا أن نستغلها بطريقة مجدية تكون فيها منافع للغير فلا نضيعها بدون عمل يذكر. فمن الواجب أن نكون أمناء مخلصين لهذا الوطن وهذه الفئة من أبنائه الذين هم إخواننا ألم يقال:

"إنما تعرف الإخوان عند الشدة" و"المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشدّ

بعضه بعضاً".



## خواطر متقاعد

### بقلم: عمّار الفتوحى

كان معلمي سيدي صالح الشابي طيب الله ثراه علمنا في مادة المحفوظات ونحن أطفال



"ليت الشباب يعود يوما" فأخبره بما فعل المشيب، وكنت أحفظ عن ظهر قلب دون أن أفقه المعنى الحقيقي لما كان يلقننا غير أنه لما تقدمت بي السنون وغمر الشيب رأسي وثقلت خطاي، وأحلت على التقاعد وأصبحت حياتي اليومية روتين ففهمت عندها ما كان يلقننا معلم الأجيال بسليانة ( سيدي صالح الشابي) وجدت في جمعية المتقاعدين

بسليانة. متنفسا بملا أوقات فراغي بل كل أوقاتي لأنها لا مشاغل لنا في حيث يجتمع وتنجاذب أطراف الحديث والذكريات ونحضر المحاضرات والندوات ونقوم بالرحلات الترفيهية آخرها رحلة استطلاعية نظمها الجمعية الجهوية للمتقاعدين بسليانة شارك فيها بعض متقاعدي ومقاعدات المنطقة، كما ذكرنا منها كالأتي: انطلقنا من سليانة وتوقفنا بمدينة الوسلاية لأداء صلاة الصبح ثم واصلنا الطريق عبر مدينة القيروان وبيرو علي بن خليفة والصخيرة حيث توقفنا لنيل قسط من الراحة وتناول قهوة الصباح ثم قصدنا مدينة قابس أين تحولنا في أسواقها المتميزة بالصناعات التقليدية والحناء والملوخية وأنواع البخور...

وكان لا بد لنا أن نؤدي زيارة لمقام الصحابي الجليل أبي لبابة الأنصاري وتوجهنا بعدها إلى مدينة حمامة قابس أين أقمنا بأحد فنادقها حيث أنتهز المشاركون الفرصة للاستحمام بحماماتها الاستشفائية وما أكثرها، وفي الصباح التالي انطلقنا في اتجاه مطماطة القديمة بجبالها الجرداء ذات المناطق الخلابة ومغاورها العجيبة حيث زرنا البعض منها، ثم واصلنا في اتجاه مدينة قبلي وهنا أخذنا قسطا كبيرا من الراحة واشترينا ما يلزمنا من دقلة النور وغادرنا في اتجاه توزر عبر شط الجريد نزلنا لأخذ الصور التذكارية فوق الملح

الذي يخاله الناظر عن بعد غطاء ثلجيا، أقمنا ليلتنا بزل بتوزر وفي صباح اليوم التالي انطلقنا لزيارة مدينة نفطة وهناك تحولنا داخل الواحة وحضرنا عملية جني عراجين التمر وكان منظرا لا يتاح لنا أبناء الشمال إلا عبر شاشة التلفاز ثم عدنا لتوزر لزيارة روضة



أبي القاسم الشابي حيث ينتصب تمثاله بأعلى القمة والنسر قبائله كأنه يحرسه وتحولنا بعدها بمدينة توزر ثم انطلقنا من جديد قاصدين قمزة التي وصلناها عبر الشبكة بواحاتها الجبلية وطريق وعرة متشعبة المنعرجات، هناك أخذت الصور التذكارية تحت شلالاتها، ومناظرها الطبيعية الساحرة بما حباها الله بها.

هنا لا يسعني إلا أن أشكر سائق حافلة جمعية المسنين

وأشد على يده، وفي طريقنا ونحن عائدتين إلى سليانة مررنا بمدن الحوض المنجمي: المتلوي وأم العرايس والرديف والمدين: جليلة، حاجب العيون، ثم حفوز والوسلاتية التي وصلناها على الساعة الخامسة والنصف ليلا حيث وجدنا أبنائنا في الانتظار فرجعت بي الذاكرة إلى سنوات طويلة لما كنت أنتظر أبنائي عند عودهم من الرحلات المدرسية.



فتمحية شكر وإكبار إلى كل من ساعد

على تنظيم هذه الرحلة وأخرجنا من بوتقة الرتبة وأتاح لنا الفرصة كي يتصالح المشيب مع الشباب ولو لأيام قد تتكرم

علينا جمعيتنا وتعيد مثل هذه الرحلات حتى لا يدهمنا الهرم.



## المعبد المهجور

شعر: عبد الحكيم ربيعي

فيأبى...

تماهت الأزمان

ليل بوجه غربي

غمامة حبلى بالبرد

ترجم الشمس

لترتعب كل الأحضان

تغفو فضولي على خدّ دمي

وتستكين سناجلي للطوفان

جفائي وحيي

مذ هجرت أنثى الحمام الغار

و أعرض عن المعبد الزّوار

أين الورود؟.. أين الفراشات ؟

هل عزفت عن التشيد الأطيّار؟

ريح سموم تتلوّى

تراقص العدم

في فناء معبد مهجور

تماثم الموت

ينشدّها الرّهبان

خناجر وجع

تغرّز ناهما في الحلق

تخرس صوتا

تعزف لحن اللّسان المبتور

لغتي كما الخصيّان

أو كفّوان تناسهّن الزمان

أطارد الحرف

أرجوه البوح



## فاضت همومي

الشاعر شكري مسعي

يعتق خرا و وردا و عييد  
لك من وريدي رحيق المسيس  
ونبض الشرايين همسا شريد  
جراحي سطور بأرض اليباب  
وحزني يمزق عمري الفقيد  
سأترك باي لوجه الرياح  
ترج ضلوعي و تكوي الوريد  
سأعلن إعدام حرفي بأرض  
ليبقى صراخي نداء شهيد  
ربيعي خواء و أرضي سراب  
و عمري ضياع يفل الحديد  
سأهرب من باب تلك الرياح  
التي عربدت فوق قلبي الزيف  
من الماء للماء أكتب موي  
أخطأ جراحت حرفي الشفيف  
من الروح للروح أقفو انبعالي  
و أرسم حزني بلون الخريف  
من الموت للموت أنبش قيري  
و أدفن عشقي الوليد العفيف  
هو النور يغشى مساحات عمري  
و يسرقني من زماني العفيف

سأهرب من باب خوفي  
إلى دفقة من شعاع طليق  
لعلّي إذا ما تجرّدت متي  
أكون حياة بدفق عميق  
لعلّي على شاطئ الروح أرسو  
و أغدو انبعالا لكل غريق  
و دمعي يجرّح خذي الغريق  
\* نبت نبضا بشريان عمري  
و أرسم فجرا جديلا جديد  
و أبكي لأغسل أوجاع قلبي  
و أنفث متي الضباب العبيد  
تنهّدت فاضت همومي و رجّت  
هتافي الغريب و بوحى الشريد  
من العين للعين قبلة عشق  
قيم و تسرج عمري الفقيد  
و ترسم في الحذا وردا و دفلي  
و تبني لعمري ريعا سعيد  
من الشمس للشمس تأتي الأغاني  
و يعبر همسي نشيدا فريد  
لك من مواويلي عمري شذاه  
سلاما و عشقا شفيقا غريد  
لك من ضلوعي رفيف الجناح





## في انتظار القصيدة

شعر: سنية مدّوري

القصيدة الفائزة بالمرتبة الاولى

بجائزة الإبداع بمسابقة نازك الملائكة للإبداع النسوي ببغداد 2013

يَبَاضُ يَبَاضُ

جَنَائِزُ خَلْفَ الْجَنَائِزِ

تَرْحَفُ فَوْقَ رُخَامِ الْحَقِيقَةِ،

لَا يَدَ تَحْضُنُ رَيْشَ الْمُتَى،

لَا سِمَاتٍ لِعَلَّتِ الْوُجُوهُ الْمُطَلَّةُ

مِنْ بَثَرٍ وَخَشْيَتِنَا، لَا مَيَّاهَ لِنَحْيَا بِهَا،

ثُمَّ نُشْرِعْ صَوْبَ التُّخُومِ مَرَاكِبِنَا،

لَا مَلَاذَ لَنَا لَا نَصِيرُ

\* \* \*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،

رَغْمَ هُرُوبِ الْمَجَازِ، وَفَقْرِ الْمَزَاجِ

إِلَى الْإِسْتِعَارَةِ ثَلَبِسُ كُلِّ الْحُرُوفِ

جَنَاحَيْنِ مِنْ قَلَقٍ وَحَرِيرِ

\* \* \*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،

لَا شَيْءَ أَلْبَلُ مِنْ صَمْتِ أَيْقُونَةٍ

فِي كَنَائِسٍ وَخَدَّتَيْهَا، وَهِيَ تَغْرُقُ فِي طَهْرِهَا،

كَرَغْوَةٍ حُلُمٍ حَبِيسٍ يُجَاهِدُ فِي أَنْ يَطِيرَ

\* \* \*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،

كُنَّا لُبَاغَتْ لَيْلِ الشَّرَانِقِ

بِالْأَغْنِيَاتِ الْبَسِيطَةِ، تَصْحُو

عَلَى شَهَقَةِ النَّايِ يُنْسَلُ

مِنْ قَصَبِ الْيَمِّ، مِثْلَ الْأَمْحَةِ

<http://Arxiv.org/Arxiv.com>

بُعِيدَ مَخَاضِ عَسِيرُ

\* \* \*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،

رِيحُ تَجَهُّزُ أَحْصِنَةٍ لِلرَّحِيلِ،

تُدَاعِبُ رَمْلَ الصَّحَارَى،

وَتُحِيلُ كُلَّ النُّحَيْلِ الْعَقِيمِ،

بِمُزْنِ مَطِيرُ

\* \* \*

وَأَتَانِي الْقَصِيدَةُ،

أَمْ تَعِدُّ حَقَائِبَ رَوْحِ مُسَافِرٍ،

وَتُقْنِعُ بُلْبُلَ رَغْبَتِهَا بِلِقَاءِ حَمِيمٍ

عَلَى رِيشِ طَائِرٍ

وَتَعْرِفُ، فِي عُمُقٍ

أَحْشَائِهَا، كَمْ تُقَامِرُ

تُصَدِّقُ قَلْبًا كَسِيرٌ

\* \* \*



لَا وَقْتُ كَيْ تَحْتَمِلِي الشَّيْءَ  
فَوْقَ الْأَرِيكَ، نَسْمَعُ بَعْضَ  
<http://ArchiveBea.sakina.com>

الْأَغَانِي الْقَدِيمَةَ، نَحْتَرِفُ الْحِكْمَ

مِثْلَ جَمِيعِ النِّسَاءِ وَلَطِنَبَ فِي الْوَصْفِ

لَا وَقْتُ حَتَّى نَرَى

مَا نَرَى

أَنْ نَرَى مَثَلًا: فَوْقَ قُطْنِ الْغُيُومِ،

هُنَاكَ، أَكَالِيلَ وَرْدٍ، وَبَعْضَ الْفَوَاكِهِ

تُنْسِيكَ طَعْمًا مَرِيرٌ

\* \* \*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،  
 كَمْ مِنْ عَرَائِسٍ حَلَوَى  
 سَنَنْعُهَا لِلْمَلَايِكَةِ الطَّيِّبِينَ،  
 وَكَمْ مِنْ طَوَاحِينَ لِلرَّيْحِ  
 نُرَكِّبُهَا ذَاهِلِينَ، وَكَمْ  
 مِنْ صَبَاحٍ يُضْمَدُ جُرْحًا أَلِيمًا،  
 وَيَحْقُنُنَا أَمَلًا ضِدَّ هَذَا السَّوَادِ الْخَطِيرِ...؟



ARCHIVE

<http://archive.net/sakila.com>

تَنْفُزُ لَوْزًا، وَتَنْزِفُ عَطْوًا،  
 وَتَقْطُرُ صَبْرًا، كَذَمِ السُّلُوعِ  
 تَبَيَّنَ فِي الْقَاعِ،  
 كَيْ يَهْدِيَ النَّاسَ أَقْبَاسَ نُورٍ

\*\*\*

وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ،  
 مِثْلَ الْفَرَاشَاتِ مُفْعَمَةً بِالرَّيْبِ،  
 مُحَمَّلَةً بِالْحِكَايَاتِ وَالْوَرْدِ،  
 أَجْمَلَ مِنْ نَجْمَةٍ فِي أَعَالِي السَّمَاءِ،  
 وَأَبْيَضَ مِنْ أَمْنِيَّاتٍ وَلِيدٍ صَغِيرٍ

\* \* \*

أَتَأْتِي الْقَصِيدَةَ حَقًّا،  
وَهَذِي الْقُلُوبُ جَفَاهَا الدُّعَاءُ،  
وَتِلْكَ الْعُيُونُ هَوَاهَا الْبُكَاءُ،  
وَبَعْضُ الْمَسَافَاتِ أَصْبَحُ مِنْ عَيْنِ طَيْرٍ  
وَأَحْزَنُ مِنْ شَاهِدَاتِ الْقُبُورِ..؟

\* \* \*

سَتَأْتِي الْقَصِيدَةَ،  
ذَاتَ فَرَاغٍ يُمَارِجُهُ الْبُوحُ وَالْأُمْنِيَاتُ،  
سَتَأْتِي كَنْهَرٍ تَمِيرُ تَهْمُهُمْ فِي صَمِيهِ الرُّغَمَاتِ،  
سَتَأْتِي بِجَلَلِهَا الْإِخْضَارُ الْقَشِيبُ

<http://ArchivBea.sakniti.com>

وَتَفْضَحُهَا الْكَلِمَاتُ  
وَحَتْمًا سَتَنْسَى عَذَابَاتِ عُمْرٍ  
ظَنَّنَا أَقُولَ الْقَصِيدَةَ فِيهِ،  
وَأَنْ ابْتَلِينَا بِأَشَقَى مَصِيرٍ  
سَتَنْسَى،

لِنَنْسُجَ ثَوْبَ الْقَصِيدَةِ  
خَيْطًا، فَخَيْطًا،

لِهَذَا الصَّبَاحِ الْأَمِيرِ



## ما تَحْسِينُ ؟؟؟

شعر: محمد ناجح الطرابلسي

عَابَ حَرْفِي فِيكَ أَلَكِ تَسْكِرِينَ  
كَلَّمَا أَبْنَى سَطُورًا تَهْدُمِينَ  
لَيْسَ مِنْ صَخَرٍ قَصِيدِي فَارْحَمِي  
مِنْ هَشِيمِ الْعُمُرِ شِعْرِي تَعْلَمِينَ  
مِنْ عَيُونِ الْأَرْضِ سَافَتُهُ الرُّوَابِي  
بَارَتْجَابِ الْأَمْسِ فِي كَفِّ الْحَنِينِ  
بَاخْتِرَاقِ اللَّيْلِ فِي خَلَّةِ السَّمَاءِ  
بَاخْتِصَارِ الطَّبَرِ فِي الْمَقْهَى الْحَزِينِ  
بَاخْتِسَابِ الْعُمُرِ لَحْظَةً مَا التَقِينَا  
وَاجْتِبَاسِ الْعُمُرِ سَاعَةً تَرْحَلِينَ  
مِنْ نَزِيفِ الصَّمْتِ خَطَطَتْنِي الْقَوَافِي  
بَيْنَ نَطِّ الصَّدْرِ وَالْعَجْزِ الرَّزِينِ  
بَيْنَ أَرْضِ غَصٍّ فَوْهَا بِالْمَنَآيَا  
تَحْتَ أَرْضِ مَصٍّ فَوْهَا الْكَادِحِينَ  
كُلَّ مَا جَادَتْ كُرُومُ الْأَرْضِ دُقْنَا  
مَا سَكِرْنَا.... يَا تُرَى مَا تَحْسِينُ ؟؟

## حركات الوردة

(1)

شعر: الحبيب دربال

\* إلى إيكاروس عبد الفتاح بن حمودة شاعرا يتحدّى البوارج الإسمنتية

حركات الوردة لا يسقطن

كما يسقط نابغة غفل،

يحلّمن بتاريخ أفضل /

ARCHIVE

سعي مسعود الخطور /

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

كتابات تنهل من وعي فتاك .

\*\*\*\*\*

حركات الوردة حين يناشدنك :

"بعثر ورقي اللؤم، سلاّلي البلوى،

أمح بياني المستورد ! لا تتردّد ! /

تصح كما لو كنت نبيا

يلغي دائرة الأمر،

يرفض رابطة التهيء . "

هي ذي وردتك : السيل متى يهدر /

الغيمة - إماء تتحدى الزمن الأنكى - ،

تبتدى امرأة عارية إلا من شعر وهاج،

تظفر حين السلخ بقتلاها يعتذرون ... ،

.... وتمضي الوردة، تمضي عبثا خلأفا،

طيفا عملاقا حلّ الويل وحين اللفظ يكون،

... وتمضي الوردة تولى أكلا أشهى من ... ،

لا تضمر سرا ،

مأواها التيه يعرّش حيث تشاء،

فلا أغلال تهددها،

لا مهل ولا ... ،

يشنيها عن فلح النصّ

ينابيع / محاري عشق "إيكاروسية"





## أين درویش یا ریتا؟

شعر: جهاد المشاني

عن زمن تشعله القوافي

وتطفئه "أوراق زيتون"

وبندقية

ریتا تخط على القمر

جنازات النخيل

تلهو باللغة... بالطين

بالخروف البربرية

درویش يمضي

يمضي لريت صَفحات موته

تاركا "أثرا للفراشات" والأغنيات

وتلك العصافير

تبحث في ركن بيت في الجليل

عن مجازات... كوجه ريتا

عن شبابيك تطل

من عيون عسلىة

تحت فوق للضياح

اسمع ريتا تصلي

معاجها لا تنسع للشمس

"في حالة الحصار"

وتلك القرايين

على بعد أمطار من الغيب

تسابقنا إلى الموت

إلى الظل... ترونو

والخطو رقص على جوارح الطريق

هذه ريتا

في متسع من الضيق

تجثو بين القصائد

ترسم الكحل في عيون الماء

"وفي حضرة الغياب"

ترمق السواد

ينسكب في راحتيها المخضبطين

بالمساء....

تسأل نواقيس الكنائس

عن الشعر

من فراغه الفسيح  
كالوجه العابرة  
ليل درويش حصار  
شعر درويش انتصار  
قال درويش وقال  
رافقى سرب الحمام  
عانق شوق الغمام  
وطار...  
من هناك قد يجيء  
من أراضي الشعر يأتي  
من حقول البرتقال  
يقطف حلما لريتا  
يطلق البارود شعرا  
يكتب جرح الظلال  
فوق أحزان سعيدة  
بينك...ريتا....وييني  
ألف سطر في قصيدة  
ترفض أن تنتهي

ألمح ريتا تحنى  
كف ريتا لا يقول  
ما تقول البندقية  
أورشليم ذات غيم  
أمطرت في قلب ريتا  
بعض صمت.. بعض موت  
حفنة منك ومني  
من سلالات التمني  
هذه الأرض... لريتا  
ذلك البحر... لريتا  
أما درويش... لنا  
شعر درويش... لنا  
قد تغار ريتا منا  
أو تقول الأرض عنا  
إن درويش... مضى  
ربما يأتي بفصل  
من وعود العاصفة  
باقعة الصحو تحيى

## برنس عمي مصباح

### قصة: محمد العائش القوي

يعرف عمي مصباح أن برنسه قد أصبح ذا شهرة واسعة في بلدته المنجمية، يتحدث عنه الناس في مجالسهم فيشنون على مهريّة بنت صويلح التي لم تسترح طيلة شهرين قضتهما في اختيار مكوثاته من وبر الإبل الأصهب الممزوج بصوف الغنم المجزوز في أواخر شهر ماي والمائل الي الشقرة التي قلّ وندر أن تغطّي اجسام الأكباش والنعاج.

عندما اكتملت صدره البرنس حمله إلى منزله فتلقفته منه زوجته مهريّة وأسدلته على كتفيه فاتخدر أسفلّه إلى اعلى قدميه ليّنا كأنه الحرير وفاهرا كأنه لباس أمير من أمراء الدولة الحسينية قبل أن يسيء إليهم الزم من بعد استقلال البلاد.

http://Archivebeta.Sakhrjt.com  
-لا تذهب إلى السوق أو إلى أي مجلس من المجالس إلا وهو فوق كتفك يا سي

مصباح !

قالت مهريّة هذا الكلام ثم نادت ابناؤها لمشاهدة برنس أبيهم الذي لم تصنع امرأة في المتلوي مثيلا له.

-أعجب الأولاد والبنات ببرنس والدهم وقال صغيّره وهو يفرّك عينيه من اثر

النوم :

-أريد أن تصنعي لي برنسا كيبرنس أبي يا أمّي !

لاطف عمي مصباح الصبيّ وخاطبه :

-بعد ختانتك في الشهر المقبل نفكر في طليك يا كبدي

اصطحب ولديه الكبيرين إلى سوق البلدة واشترى ما طلبت منه زوجته شراءه لإعداد وليمة حفل ختان طفلهما الصغير ووضعه في بعض الأكياس وصناديق الورق المقوى والقفاف وطلب من أحد الخوذين حمله على عربته المحرورة إلى بيته مصحوبا بإبنيه، واختار لنفسه مكانا في المجلس المسائي لأصدقائه بـكان عبد القادر بالغوار.

مال الكلام إلى الحديث عن البرنس فقال جليس غنه سمع عن صالح "المنور" <sup>(1)</sup> عن بلقاسم "البيزور" <sup>(2)</sup> عن عبد السلام حارس مستودع المفرقات المنجمية أنّ أحد المقربين من عمي مصباح صرّح في غياب وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة، وهو يقسم بالله العظيم ويحلف بسيدي إبراهيم الشارف وسيدي عبود بن عطية وسيدي عيسى بن عمارة وشهداء إضراب 04 مارس 1937 بالمغازة المركزية لشركة القسفاط، بأنهم بعيتهم اللتين قتلوهما الثراب وياكلهما الدود، قد رأى ذات مساء عمي مصباح يفتح جناحي برنسه ويطير في علوّ مائة وخمسين قدما من بيته في حي المزيرة إلى بيت أخته بوادي الارطة على بعد ثمانمائة متر.

نعود إلى ما جرى للحوذي.. فقد أوصل ما حملته عربته إلى بيت عمي مصباح وعندما ألهمك أبناء الرجل في إدخال القفاف والأكياس والصناديق طلب من فتاة صغيرة أن تسعفه بشربة ماء فاختمت داخل البيت لتحقيق طلبه، وفجأة برز البرنس وهو يحمل إناء مملوء ماء وقدمه للكرارطي الذي سقط مغشيا عليه من غرابة ما شاهده.

في اليوم الموالي أحسّ مصباح المكلف بمهمّة توجيه القاطرات أنه في وضع مستعجل إلى قضاء الحاجة البشرية فدخل غرفة الأمتعة التابعة لمرصّد مراقبة عربات السكك الحديدية وعلّق برنسه ثم نطّ إلى بيت الراحة وأغلق وراءه باب المرحاض.

كان على يقين كعادته من أنّ موعد حلول القطار المرسل من المغسلة عدد 3 سوف لن يحين قبل ربع ساعة من تلك اللحظة، غير أنّه، بمجرد شروعه في التغيّط تناهي إلى سمعه صياحا متكررا ومتواصلا تطلقه قاطرة لا يعرف من أين وكيف جاءت في تلك اللحظة فألغى قضاء حاجته البشرية بسرعة وخرج يجري ليحول دون وقوع كارثة قد تنتج عن اصطدام القطار القادم بالقطار الواقف فوق خط حديدي لم يغلق الإتجاه المؤدي إليه.

يا للعجب .. القطار يمرّ في اتجاه مفتوح .. من حول مساره 19!

ظلّ يبحث عن جواب لسؤاله إلى أن توقفت العربات الفسفاطية ونزل من القاطرة سائقها وهرول نحو عمي مصباح ليقول له :

شيء لا يصدّق،، كدت أواصل مساري في اتجاه القطار الواقف لولا تدخل برنسك الذي جذب الذراع المعدني لفتح الخط الحديدي يسارا.

عاد عمي مصباح إلى غرفة الأمتعة فوجد البرنس معلّقا في مكانه..

كان ختان الإبن الأصغر حدثا مشهودا أعجب بكرم ولائمه كلّ من دعي إلى الأكل من موالدهن وكان عمي مصباح هو النجم البارز طيلة أيام الفرح برنسه الذي لم يفارق قامته الممدودة وهو يصافح هذا ويستقبل ذاك ويرحب بثالث ويوجّه رابعا نحو مكان مريح للجلوس فتحدثت بعض النسوة عن براعة في حياكة البرانيس عموما وفي تفانيها أكثر في سبيل إنجاز برنس زوجها الذي تفنّنت في

صنعه، وقيل إنَّ بعض نساء الجنِّ قد ساعدنَّها على نسجه والدليل على ذلك هو أنَّها كانت توجَّح الموقد لحرق البخور كلَّما تضاءلت رائحته وهي جالسة خلف المنسج.. وقيل أيضاً إنَّ وبره وصوفه مجزوزان من أنعام جانية.. والله أعلم.

أما العمّة -الراهمة- وهذا إسمها الحقيقي -فإنَّ عينيها اللتين مازالتا تلتقطان التّظر بوضوح رغم تقدّمها في السنَّ واعتمادها في السرّ على عكّازتين... عندما تنظّم إلى مجلس نسوي تستعيز صاحباته من وجودها ومن حرارة عينيها اللتين شبّهتهما تلميذة من بنات الحي بينديّة صيد لأنهما لا تخططان في إصابة هدفهما.

إقربت مهريّة مرّجة بالوافدات على ختان إبنها أمسكت عجوز ما بعد الثمانين عرقاً بصناعة البرنس من إحدى يديها وفركت أصابعها وهي تقول :



-هذه المرأة لها أصابع تصنع العجب تصنع الحرير  
لم تكن مهريّة تعرف عن خطورة سهام عيني الراهمة شيئاً، لذلك انسحبت للترحيب بأخريات بينما غمّمت امرأة يقول :

-لا حول ولا قوّة إلّا بالله.. يا ستار أستمر المخلوقة من العين فهي زوجة رجل طيّب وأم صغار مازالوا محتاجين إلى رعايتها.

انتهى حفل الختان في ظروف منعشة لم يستطع أن يتطاوّل عليها بالنقد أو بالانتقاد ذكر أو أنثى، فعمي مصباح رجل كريم ومهريّة قلّ وندر ان تضاهيها امرأة في حسن التنظيم، غير ألما شعرت بعد أسبوع بحساسية مفرطة في أصابع يديها أجبرتها على حكّها كثيراً.

وبعد ثلاثة أيام امتدّت الحساسية إلى ذراعيها وزنديها إلى أن شملت صدرها وظهرها ورقبتها، فلم تتمكن من إطفائها والتخلص منها بدهن اماكنها بزيت الزيتون إلى أن بدا التهابها يخفت في اليومين اللاحقين لكنها لم تنعم بالإطمئنان الذي توقعته لأنّ انسحاب الحساسية من الأماكن المذكورة بجسدها قد فسح المجال لظهور حبيبات صغيرة كثيرة الاحمرار سرعان ما كثرت وأصبح الدّم يتزل منها، فسارع عمي مصباح بنقلها إلى مستشفى البلدة التابع لشركة الفسفاط اين قام الحكيم الفرنسي "شيفير" بفحصها فحصاً متأنياً ودقيقاً سجل لها على إثره مجموعة من أدوية الحقن والشرب والبلع.

بدا الدّم ينطفئ تحت تأثير الأدوية، فب "شيفير" طبيب بارع ومشهود له بالشهرة وهو متحصل على شهادة الدكتوروا في طب الأمراض الجلدية من إحدى أهم الجامعات الفرنسية في أوائل خمسينيات القرن العشرين، لذلك تخلّت شركة الفسفاط عن إطاراتها العليا من الفرنسيين الذين غادروها بعد استقلال البلاد وحرصت على إبقاء الطبيب في وظيفته بموجب عقد مدته خمس سنوات قابلة للتجديد.

فكر عمي مصباح في ذبح علّوش لتوزيع لحمه على أسر الحيّ إذا شفيت زوجته ممّا حلّ بها إلّا أنه سوف لن يفعل ذلك لأن مهريه قد عاودها التوجّع والصراخ الذي قضّ مضاجع ابنائها ذات ليلة مظلمة ولولت فيها الرياح وكأنها تنذر بحدث جلل سيحل قريباً.

شرع الأطفال في البكاء عندما انزعجوا من الوضع الخطير الذي شاهدوا عليه امهم فبدأ الجيران يتجمعون في فزع، وقبل أن يتوجه أحد الشبان إلى منزل الطبيب

للاستنجاد به مما تعاني منه مهريّة رفعت المسكينة سبابتها اليمني وتمتّت بكلمات غير مسموعة إلى أن انقطعت أنفاسها رحمها الله .

قال مؤدب الحي وهو يسير في مقدمة جنازة المرحومة مهريّة :

"إنا لله وإنا إليه راجعون" صدق الله العظيم. منذ أيام قريبة كان منزل عمي مصباح قد استقبل الناس بمناسبة ختان ابنه الأصغر، وها هو اليوم يستقبلهم وقد ارتحلت زوجته إلى جوار ربها تعالى.

في اليوم الثالث من الوفاة ذبح عمي مصباح العلوش، الذي نوى ذبحه سابقاً لو شفيت زوجته، وكلف أخته وزوجة أخيه بأعداد عشاء الميتة فحضر القراء من المسجد القرب للقيام بختمة قرآنية ترحماً على الفقيدة، ووضع مصباح برنسه من على ظهره فوق جبل الغسيل الأمامي للتخلص من ثقله وهو يهوى الموائد لتوزيع الطعام على المعزين.. في تلك الأثناء أقبلت العمة الراحمة تتوكأ على عكازيها لتعزية أهل البيت ف وقعت عيناها على اليرنس الذي سقط فوق رأسها ففقدت توازنها ووقعت على الأرض تتخبط للتخلص مما التف حول وجهها ورقبتها..

تفطن الحاضرون إلى ما حدث فهرع بعضهم لمساعدة المرأة على الوقوف فوجدوا صعوبة في تخليصها من اليرنس الذي التف بإحكام حول أنفها وفمها وخنق رقبتها غير أنهم عندما رفعوه عنها وجدوها جثة بلا حراك.

الهوامش :

(1) "المينور" Mineur العامل الذي يفتح امتدادات الأنفاق بالألغام المنجمية لاستخراج فسفاطها.

(2) "البزور" Boiseur الخشب داخل المنجم وهو الذي يعد الأخشاب التي تبني داخل الأنفاق للوقاية من سقوط الأنفاق.